



مَجَلَّةُ الْوِفَاقِ

الإنمائي الدولي للعلوم الإنسانية

مجلة محكمة نصف سنوية تصدر عن مركز الوفاق الإنمائي الدولي
ماليزيا العدد التاسع السنة الخامسة 1446 هـ الموافق 2025 م

تقرأ في هذا العدد

- اندلاع الأزمة في سوريا وموقف الدول العربية منها
- مسقطات حد الزنا



WEFAQ INTERNATIONAL DEVELOPMENT CENTER
SDN.BHD (1155980)

www.wefaqdev.net

اندلاع الأزمة في سوريا وموقف الدول العربية منها الباحث محمد جاسم محمد

الملخص

شهد الوضع الإقليمي العربي، منذ عام ٢٠١١، تغييرات مهمة نتجت أساساً عن ثورات الربيع العربي التي هزت منطقة الشرق الأوسط، وانتشرت من بلد إلى آخر، وأطيح بأنظمة استمرت على مدى عقود مثل نظام زين العابدين في تونس وحسني مبارك في مصر، ومعمر القذافي في ليبيا بدأت الأزمة السورية، منذ ١٥ مارس ٢٠١١ واخذت الأزمة تتجه نحو مزيد من التصعيد والتعقيد، ولأن التدخلات الإقليمية والدولية في الصراع السوري فاقمت من حالة الفوضى وغياب الاستقرار في المنطقة ووضعت صعوبات أمام فرص التوصل إلى حل سياسي ينهي الاقتتال ويضع حداً للصراع في سوريا، تراجع تأثير الأطراف المحلية المتصارعة في حسم نتيجة الصراع، وباتت في المقابل مصالح الأطراف الإقليمية والدولية المتصارعة هي العامل الأهم في تحديد مصيره، ومن أهم تلك الأطراف روسيا والولايات المتحدة وإيران وتركيا والعراق. فضلاً عن أزمة تدفق اللاجئين السوريين إلى دول الجوار التركي واللبناني والأردني ومؤخراً إلى الدول الأوروبية مع ما ترتب عليها من أزمات سياسية وتحديات أمنية واقتصادية، فضلاً عن المعاناة الإنسانية الصعبة للاجئين. أدت التدخلات الدولية أيضاً إلى زيادة الانقسامات في الموقف العربي وحالة من التقلب في التحالفات والمحاور في المنطقة، وظلت المنطقة العربية تتلقى تلك التأثيرات بشكل سلبي ودون أن تكون لها استراتيجية واضحة للرد أو التكيف سواء على مستوى كل قطر عربي أو على المستوى القومي ككل. ومن هنا أصبحت بدأ دور الفواعل العربية بداية، لم تتحرك الدول العربية بفعالية إزاء تلك الأوضاع على الأقل بالقدر المطلوب منها في مواجهة التدخلات الخارجية الرامية إلى تسوية النزاعات العربية في الظاهر الذي يحمل في طياته بذور الاعتداء على سيادة الدول العربية والتدخل في شؤونها الداخلية. الكلمات المفتاحية: الأزمة السورية، التدخل العربي، الموقف العربي من الأزمة.

Abstract

Since 2011, the Arab regional situation has witnessed important changes that resulted mainly from the Arab Spring revolutions that shook the Middle East region, and spread from one country to another, and regimes that continued to exist were overthrown. Over the course of decades, such as the regime of Zine El Abidine in Tunisia, Hosni Mubarak in Egypt,

and Muammar Gaddafi in Libya. The Syrian crisis began on March 15, 2011, and the crisis was heading towards further escalation and complexity, and because regional and international interventions in the Syrian conflict exacerbated the state of chaos and lack of stability in the region and placed difficulties in the chances of reaching a political solution that would end

the fighting and put an end to the conflict in Syria, the influence of The conflicting local parties decide the outcome of the conflict, and in turn, the interests of the conflicting regional and international parties have become the most important factor in determining its fate. Among the most important of these parties are Russia, the United States, Iran, Turkey, and Iraq. In addition to the crisis of the influx of Syrian refugees to the neighboring countries of Turkey, Lebanon, Jordan, and recently to European countries, with the resulting political crises, security and economic challenges, as well as the severe humanitarian suffering of the refugees. International interventions also led to increased divisions in the Arab position and a state of fluctuation in alliances and axes in the region, and the Arab region continued to receive these influences negatively and without having a clear strategy for response or adaptation, whether at the level of each Arab country or at the national level as a whole. From here, the role of Arab actors began

To begin with, the Arab countries did not move effectively in response to these situations, at least to the extent required of them in the face of external interventions aimed at ostensibly settling Arab conflicts, which carries within it the seeds of assault on the sovereignty of Arab countries and interference in their internal affairs.

Key words: The Syrian crisis, Arab intervention, the Arab position on the crisis.

المقدمة

شهدت المنطقة العربية أواخر عام ٢٠١٠ ، وبداية ٢٠١١ موجة من المظاهرات والاحتجاجات والحراك الشعبي الذي عم عدداً من الدول العربية ضد الأنظمة الحاكمة بدءاً من موجة الاحتجاجات العارمة التي اندلعت شرارتها من تونس ومروراً بمصر

التي أدت إلى الإطاحة بنظام الحكم ووصولاً إلى سوريا ، لقد عرفت سوريا في مارس عام ٢٠١١ واحدة من أكثر التحولات في تاريخها المعاصر.

حيث تطورت الاحتجاجات الشعبية بسرعة كبيرة ، وتحولت الى أزمة داخلية ، وحرب أهلية، ويعود هذا التطور إلى طبيعة النظام السياسي والأطراف المؤثرة في السلطة ، والتدخلات الإقليمية التي أسهمت في تعقيد الأزمة.

إن بعض الدول العربية خصوصاً دول الخليج هي الأكثر حساسية من الأحداث الجارية في سوريا ، فهي وضعت في نصب أعينها التجربة العراقية وما آلت إليه أوضاع المجتمع العراقي بعد الاحتلال الأمريكي ، فتسعى هذه الدول بكل قوتها لدعم إستراتيجية ورسم خريطة المستقبل بالشكل الذي لا يعارض سياسيتها للوقوف بوجه القوى الإقليمية الأخرى المنافسة لها ، سنتناول في هذا المبحث أسباب اندلاع الأزمة السورية وموقف الدول العربية الفاعلة في الأزمة السورية.

١_ أهمية البحث :

تكمن أهمية هذه الدراسة في لقاء الضوء على دور الدول العربية في الأزمة السورية وانعكاساته السياسية والأمنية على المستوى الإقليمي والدولي كما تساهم في فهم ديناميكيات الصراع السوري وتطوراته وتأثيره على التوازنات الإقليمية والدولية .

٢_ اهداف الدراسة:

تهدف الدراسة الى فهم وتحليل الابعاد السياسية والاستراتيجية للدور العربي في الازمة السورية وانعكاساتها على الصعيد العربي (الإقليمي) كما تهدف الى فهم وتفسير الاختلافات والتباينات في مواقف الدول العربية تجاه الازمة السورية واستكشاف الأهداف والمصالح الوطنية والإقليمية التي تسعى الدول العربية الى تحقيقها والكشف عن التأثيرات المتبادلة بين مواقف الدول العربية تجاه الازمة السورية وتوازنات القوى الإقليمية والدولية .

3_ إشكالية البحث :

ما بين متحفظ ورافض ومراقب، تباينت مواقف الدول العربية من الازمة السورية تنطلق الدراسة من إشكالية مفادها تباين مواقف الدول العربية تجاه الازمة السورية وهذا يقود الى طرح التساؤلات الآتية :

١- ماهي أسباب اندلاع الأزمة في سوريا ؟

٢- كيف تباينت مواقف الدول العربية اتجاه الازمة السورية؟

منهج البحث : لأثبات فرضية البحث يجب اتباع خطوات البحث العلمي القائمة على توظيف مناهج البحث التي يتم اختيارها تماشياً مع طبيعة الموضوع تم الاعتماد على :

- 1- اعتماد المنهج التحليلي والمقارن لفحص وتحليل مواقف الدول العربية من الأزمة السورية.
 - 2- استخدام المصادر الأولية والثانوية ذات الصلة بالموضوع (وثائق، تقارير، دراسات سابقة، إحصاءات. إلخ.
- فرضية البحث:** اعتمدت الدراسة على فرضية مفادها الأثر المترتب على الشأن السوري الداخلي عبر التدخل الدولي والإقليمي والعربي وجاء هذا التدخل في ظل المحافظة على المصالح المشتركة بين الشأن السوري الداخلي والمنطقة العربية ككل.
- خطة البحث:** وقد قسمت الدراسة الى مبحثين رئيسيين وتنتهيها خاتمة وذلك على النحو الآتي :- مقدمة : تشمل موضوع على موضوع الدراسة وأهميتها وأهدافها ومشاكلتها ومنهجها ، كما تشمل الدراسة على التقسيم الآتي:
- المبحث الأول :** أسباب نشوء الأزمة السورية وتطور أحداثها
- المطلب الأول:** أسباب وأبعاد الأزمة السورية
- المطلب الثاني:** بناء التنظيمات المسلحة وتداعياتها على المستوى الداخلي المبحث الثاني: موقف دول مجلس التعاون الخليجي والدول العربية تجاه الأزمة السورية
- المطلب الاول :** موقف دول مجلس التعاون الخليجي تجاه الأزمة السورية
- المطلب الثاني:** موقف الدول العربية من تداعيات الأزمة السورية

المبحث الأول : أسباب نشوء الأزمة السورية وتطور أحداثها

المطلب الاول : أسباب وأبعاد الأزمة السورية

ضمن سلسلة من الانتفاضات ، والاحتجاجات ، والتظاهرات التي شهدتها المنطقة العربية، بدأت الأزمة السورية بسبب عوامل ، وأسباب متعددة بعدها سياسي والآخر اقتصادي واجتماعي، فضلاً عن العوامل الخارجية، وتعود الأزمة السورية إلى أسباب وعوامل داخلية عدة ويمكن توضيحها بالآتي:

اولاً : الأسباب والعوامل الداخلية

١_ الأسباب السياسية:

❖ احتكار السلطة والحياة السياسية بالكامل من قبل حزب البعث ، فالمادة الثامنة من الدستور السوري الدائم لعام ١٩٧٣ التي نصت على تكريس مبدأ الحزب القائد للمجتمع والدولة ، ففي سنة ٢٠٠٥ أطلقت قوى المعارضة نداء للتغيير الديمقراطي عبر "إعلان دمشق" التي طالبت الحكومة السورية بإصدار قانون يسمح بإنشاء أحزاب أخرى وعدم احتكار السلطة بحزب البعث وحده وبإلغاء القانون رقم ٤٩ سنة ١٩٨٠ الذي يعاقب بالإعدام كل من انتمى لجماعة الإخوان المسلمين¹.

❖ غياب التوازن بين السلطات الثلاث بصورة صارخة ، إذ تهيمن السلطة التنفيذية على السلطة التشريعية ، والتأثير على استقلال القضاء، ويقر الدستور السوري على أن نظام الحكم جمهوري رئاسي يعمل بثنائية السلطة التنفيذية التي تشمل على رئيس الجمهورية ومجلس الوزراء.

وقد حدد الدستور السوري لسنة ٢٠١٢ شروط الترشح كما جاءت في دستور عام ١٩٧٣، مع وجود اختلافات بسيطة، وبحسب دستور ١٩٧٣ يشغل رئيس الجمهورية أعلى منصب تنفيذي ويجب أن يكون المرشح لرئاسة الجمهورية مواطناً سورياً وعلى أن لا يقل عمره عن ٣٤ عام ، وفق التعديل الذي جرى عام ٢٠٠٠ بعد وفاة الرئيس

1 عصام عبد الشافي ، الثورة المكبوتة ، عوائق التغيير الشامل في السعودية وسوريا . السياسة الدولية ، العدد ٤٧ ، القاهرة ، أبريل ٢٠١١ ، ص ٩٧.

حافظ الأسد ، وحددت الولاية لرئيس الجمهورية (٧) سنوات قابلة للتجديد مرة واحدة ، وتقتصر القيادة القطرية لحزب البعث السوري اسم المرشح لرئاسة الجمهورية أولاً ، ويتولى بعدها مجلس الشعب تسميته رسمياً ، وبعد ذلك يعين موعداً للاستفتاء² . غياب الديمقراطية والحريات العامة ؛ سبب في تهميش قطاعات كبيرة متعددة من المجتمع فضلاً عن القوى السياسية الفاعلة وحرمانها من المشاركة الفعلية في الحياة السياسية والاقتصادية³.

ومما أسهم في غياب الديمقراطية والتوغل الأمني في حياة المواطن السوري عدم وجود قانون أحزاب ينظم الحياة السياسية بالإضافة إلى ذلك غياب قانون للانتخابات التشريعية ، والاعتماد على مبدأ الاستفتاء في الحياة الانتخابية⁴ ، ويبقى السواد الأعظم من السوريين خارج إطار سلطة أكبر من سلطة مجلس الشعب المنتخب في سوريا ، مما كرّس دور حزب البعث السوري داخل مؤسسات الدولة⁵.

٢_ الأسباب الاقتصادية

لقد عانت الدولة السورية خلال مرحلة الانتداب الفرنسي من التخلف الاقتصادي وعدم مواكبة التطور وكانت المشاريع الاقتصادية محدودة جداً ، وقد خلف الانتداب الفرنسي بعد جلائه من سوريا عدداً من الشركات الأجنبية الاحتكارية لتحقيق مصالحه الاقتصادية ، وبذلك استلمت الدولة السورية زمام أمورها وهي في مواجهة تركة ثقيلة في المجال الاقتصادي، مما تسبب من أعباء كبيرة على الدولة السورية صاحبة الموارد المحدودة في تلك المرحلة مما تعذر تحقيق التنمية الاقتصادية⁶.

وفي السنوات العشرة الأخيرة تحول الاقتصاد السوري من اقتصاد إنتاجي إلى اقتصاد استهلاكي طابعه ريعي ؛ تسبب في انخفاض القدرة الشرائية العامة للشعب بحوالي ٢٨% ، كذلك حصل تردي في نوعية الخدمات وارتفاع أسعارها ، كما زادت معدلات البطالة بنسبة 17%⁷.

² وسيم حسام الدين الأحمد ، النظم الدستورية والسياسية في الدول العربية ، لبنان ، منشورات الحلبي الحقوقية ، ٢٠١٠ ، ص ١١ .

³ نصر ربيع وآخرون ، الأزمة السورية الجذور والآثار الاقتصادية والاجتماعية، المركز السوري للأبحاث والسياسات، ٢٠١٣ ، ص ٧ .

⁴ عبد القادر نزار ، روسيا والأزمة السورية: مصالح جيو - استراتيجية وتعقيدات مع الغرب، أبريل ، ٢٠١٣ ، للمزيد ينظر :

<https://www.lebarmy.gov.lb/ar/news/?34961H.VHP4Rwfdcs>

⁵ محمد جمال باورت ومجموعة باحثون، كيف يصنع القرار في الأنظمة العربية، دراسة حالة : سوريا ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ٢٠١٠ ، ص ٢١٢ ، ص ٢٩٢ .

⁶ عبيد عطيره، متطلبات إعادة هيكلة الاقتصاد السوري وأبعاده من أجل الدخول في منظمة التجارة العالمية ، رسالة ماجستير ، جامعة دمشق ، سوريا ، ٢٠٠٧ ، ص ١٥ .

⁷ جمال واكيم مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٣-٢٠٤ .

وتسبب الانفتاح الاقتصادي السريع تحديداً في عام ٢٠٠٥ إلى توسع نفوذ (الطبقة النخبوية) التي زادت من امتيازاتها وقد سيطرت على معظم الفرص الاستثمارية المتاحة ، ولم تمنح هذه الامتيازات بطريقة عادلة.

وشهدت القطاعات الإنتاجية في سوريا توجهات نمو متباينة ، أما قطاع الصناعات الاستخراجية وتحديداً النفط فقد شهد تراجع بالإنتاج ، وقد أصبحت سوريا بلداً مستورداً. ولم يكن القطاع الزراعي بعيداً حيث شهد القطاع الزراعي أزمة حادة بسبب الجفاف وإساءة إدارة الموارد المائية ، فضلاً عن تأخر المشاريع الحيوية في التنفيذ، وكان لهذا الانكماش الزراعي أثر على خلق فرص عمل، والأمن الغذائي، والنمو الاقتصادي بصورة عامة⁸.

فضلاً عن ذلك قد شكلت العوامل الخارجية من ارتفاع الأسعار العالمية للبضائع الغذائية الأساسية منتجات الطاقة منذ عام (٢٠٠٧) عبداً اقتصادياً إضافياً على كاهل الفقراء وبالمقابل قامت الدولة بتخفيض الدعم على الوقود والأسمدة مما زاد من الضغوط على الأسر السورية الفقيرة⁹.

ثانياً الأسباب والعوامل الخارجية:

هناك مجموعة عوامل خارجية إقليمية ودولية ، كان لها الأثر الكبير على مجريات الحياة السياسية في سوريا التي شجعت على انطلاق الحراك في سوريا، فضلاً عن الحدث المباشر ، وهو قيام الانتفاضات والثورات والحراكات في بعض الدول العربية ، وأهم هذه الأحداث:

- تهديد النظام السوري المستمر ، وتهديد الدولة واستقرارها على غرار ما حدث في العراق، إذ واجه النظام السوري مجموعة متزايدة من الضغوط الخارجية ، ومتسارعة للضغط على سوريا، إلى جانب الضغوط الداخلية التي تمثلت في الإصلاح الشامل ، وتحسين الأوضاع الاقتصادية¹⁰.
- الغزو الأمريكي للعراق عام (٢٠٠٣) ، فكان الموقف السوري واضحاً ، وصريحاً، ورافضاً للاحتلال وفي الوقت نفسه معلناً دعمه للمقاومة العراقية ضد الوجود الأمريكي في العراق؛ وقد تسبب في تدني العلاقات السورية - الأمريكية إلى أدنى مستوى.

⁸ أسامة علي محمد عبد القادر، مقارنة الثورات العربية والمصالح الأجنبية نموذج "سوريا والبحرين"، بحث لنيل شهادة الجدارة في علم الاجتماع السياسي ، معهد العلوم الاجتماعية لبنان، لمزيد ينظر :

<http://atlf.ly/613522/http://www.4sheard.com/office/Rjievds.html>

⁹ نصر ربيع وآخرون، مصدر سبق ذكره ، ص ١٨.

¹⁰ عبير ياسين ، الضغوط الأمريكية على سوريا بين النموذجين الليبي والعراقي ، مجلة السياسة الدولية ، العدد ١٦٣ ، ٢٠٠٦ ، ص ١٥٦-١٥٩.

● الموقف السوري تجاه المقاومة الإسلامية في لبنان، والدعم اللامحدود لحزب الله اللبناني، على الأصعدة كافة عسكرياً ، ولوجستياً ، ومعنوياً في مقاومته ضد الاحتلال الإسرائيلي الذي أجبر على الانسحاب من الجنوب اللبناني ، وكان الدعم واضحاً وجلياً في حربه مع "إسرائيل" عام (٢٠٠٦) ؛ إذ كان الدور الكبير للمقاومة الإسلامية "حزب الله" وبمساعدة سوريا في إفشال تطبيق مشروع الشرق الأوسط الكبير الذي دعا له الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن ، ووزيرة خارجيته كونداليزا رايس عام 2004¹¹ الذي كان يستهدف بالدرجة الأولى محور المقاومة المتمثل بسوريا ، وإيران، وحزب الله ، وحركات المقاومة الإسلامية الفلسطينية المتمثلة بحركة حماس ، والجهاد الإسلامي.

المطلب الثاني : بناء التنظيمات المسلحة وتداعياتها على المستوى الداخلي.

أولاً: التنظيمات المسلحة الفاعلة في الأزمة السورية

لقد تطورت الأحداث في سوريا تدريجياً وبسرعة وانتقلت من حالة الحراك السلمي إلى الصراع المسلح، وكانت أبرز التنظيمات المسلحة في سوريا هي:

❖ الجيش السوري الحر

يُعد أحد أهم الفصائل المسلحة السورية الذي تم تأسيسه في تموز عام ٢٠١١ نتيجة الانشقاقات التي حصلت داخل الجيش السوري ، وقد تكون من ألوية ، وكتائب ، وسرايا ، إذ حصل أول انشقاق قام به الملازم أول عبد الرزاق طلاس في ٦-٦-٢٠١١ ، وجاء الانشقاق الآخر بقيادة المقدم حسين هرموش الذي أعلن عن تأسيس حركة الضباط الأحرار الذي أعلن عن انشقاقه بعد ثلاثة أيام من انشقاق طلاس¹².

❖ جبهة النصر:

هي جماعة سلفية جهادية تشكلت في منتصف عام ٢٠١١ في الأزمة السورية بمساعدة الدولة الإسلامية في العراق وغيرهم ممن أتوا من العراق إلى سوريا بعد بداية الثورة السورية ، للمشاركة في الجهاد والتفوا مع بعض رجال القاعدة الخارجين من السجون السورية ، وعملوا سوياً تحت جبهة أسموها " جبهة النصر لأهل الشام " ، وأطلق

11 أسامة محمد أبو نحل ، موقف السلطة الفلسطينية حركة حماس من الأزمة السورية وانعكاساتها على القضية الفلسطينية، ٢٠١٦ ، ص ٧٢.

12 أياد جبر ، مراحل تطور الثورة السورية ، مجلة البيان، ١١-١١-٢٠١٥ ، للمزيد ينظر:

<https://www.albayan.co.uk/mobile/MGZarticle2.aspx?ID=4733>

مجلة الوفاق الإنمائي الدولي للعلوم الإنسانية العدد التاسع يناير 2025م-1446هـ

نقلاً عن مجلة الشرائع للدراسات القانونية والإدارية-العدد2 المجلد4 لسنة 2024

عليها اسم جبهة النصر، وتم الإعلان عن وجودها بتاريخ ٢٤ يناير ٢٠١٢ بقيادة أبو محمد الجولاني¹³.

❖ الدولة الإسلامية في العراق والشام "داعش"

بعد الظهور الأول لتلك الجماعة في نيسان عام ٢٠١٣، عند إعلان أبو بكر البغدادي زعيم الدولة الإسلامية في العراق عن دمج تنظيمه مع تنظيم جبهة النصر؛ ليصبح "تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام" وما يطلق عليه اختصاراً "داعش"، إذ دفع هذا البيان عدداً من مقاتلي جبهة النصر للانضمام إلى تلك الجماعة، وبالتحديد من الأجانب من مختلف أنحاء العالم¹⁴.

❖ جيش المجاهدين

أعلن عن تشكيله في شهر نيسان من عام ٢٠١٤، وهو ائتلاف ثنائي جماعات سورية بمدينة حلب وريفها، ويضم مجموعات إسلامية مقاتلة لمحاربة تنظيم داعش خلال الأزمة السورية، وقد أعلن جيش المجاهدين أن عدد مقاتلي (٥٠٠٠) مقاتل، كما أعلن في عام (٢٠١٦)، عن انضمام عشرة فصائل عسكرية معارضة إلى صفوفه، استعداداً للمواجهات القادمة ضد النظام السوري، وتنظيم ما يسمى الدولة الإسلامية (داعش)¹⁵.

❖ الجبهة الإسلامية:

هي منظمة سلفية، تأسست في ٢٢ تشرين الثاني ٢٠١٣؛ نتيجة اتفاق سبعة فصائل ذات طابع إسلامي على العمل المشترك تحت اسم الجبهة الإسلامية، وقد ضمت الجبهة حين الإعلان عنها: لواء التوحيد، حركة أحرار الشام، جيش الإسلام، لواء الحق، كتائب أنصار الشام، ألوية صقور الشام، والجبهة الإسلامية الكردية، ويعود تشكيل الجبهة الإسلامية استجابة للمتغيرات الداخلية وتتويجا لجهود أطراف عربية سعت جاهدة على توحيد الفصائل المسلحة، إذ تعد الجبهة الإسلامية الأقرب إلى الولايات المتحدة الأمريكية، والمملكة العربية السعودية، وتباينت التقديرات حول عدد المقاتلين في تشكيل الجبهة الإسلامية بين ٤٠ و ٥٠ ألف مقاتل¹⁶.

❖ جبهة تحرير سوريا

¹³ إياد العبد الله، سورية من الحرية إلى أرض للرباط، استراتيجية سلطة الاستبداد في مواجهة الثورة السورية، (الكتاب الأول)، ط ١، تحرير يوسف فخر الدين، مركز دراسات الجمهورية الديمقراطية بدعم من شبكة حنطة للدراسات والنشر، ٢٠١٤، ص ٣٤.

¹⁴ Blanche Humud & C. Nikitin, Armed conflict in Syria: over view and U.S. Response.Brussels: European Parliament.2014.

¹⁵ أياد العبد الله، مصدر سبق ذكره، ص ٤٧.

¹⁶ المعارضة السورية: مخاطر التشتت وضرورات التوافق، الدوحة، مركز الجزيرة للدراسات، ٢٠١٣، للمزيد ينظر:

<http://studies.aljazeera.net/postionestimate/2013>

تشكلت هذا الجبهة في سبتمبر من عام ٢٠١٢، وقد ضمت العديد من الكتائب، والألوية مثل كتائب الأنصار، وصقور الشام، ولواء التوحيد، ولواء عمر بن العاص، ولواء الفتح، وأنصار الشام، وكتائب الفاروق التي نشطت في العديد من المدن السورية في القامشلي، وريف حلب، ودير الزور، وطرطوس، وبانياس، وقد أكد هذا التجمع على الالتزام بالإسلام؛ لأنه المرجعية الأساسية للتشريع مع التأكيد على احترام التعددية الدينية والقومية وكان هدفها محاربة النظام السوري حتى إسقاطه، والعمل على مليء الفراغ المؤسسي والأمني¹⁷.

ثانياً: الأزمة السورية وتداعياتها الداخلية

تعد سوريا من الدول العربية التي تأثرت بالحراك الشعبي العربي المطالب بالإصلاحات الذي تبدل فيما بعد إلى أزمة إقليمية ودولية بين داعم ومعارض للنظام السوري، ما أسهم في تعقيد الأزمة وعسكرتها، وفي هذا المطلب سيتم استعراض تداعيات الأزمة على الداخل السوري على النحو الآتي¹⁸:

1- تداعيات الأزمة على الجانب السياسي

- انحسار سلطة الدولة وغياب الدور الحكومي على مناطق واسعة من البلاد، مما أدى إلى تراجع دور المؤسسات الحكومية على القيام بواجباتها الذي سبب في ضعف الدولة وعدم السيطرة على مناطق عديدة من سوريا.
- تصاعد العنف المسلح بين أطراف الأزمة السورية، وتزايد التدخل الإقليمي والدولي.
- انعدام الأمن، وقد أدى إلى انعدام الاستقرار السياسي في بعض المناطق السورية.
- نفوذ الجماعات الإسلامية المحاربة ضمن التنظيمات المسلحة، الأمر الذي أدى إلى انتقال العنف إلى دول الجوار، وتحولها إلى أزمة إقليمية.

2- تداعيات الأزمة السورية على الجانب الإنساني- الاجتماعي:

تعد الأزمة السورية وما خلفته من تداعيات كارثية أثرت بشكل سلبي على الوضع الإنساني الذي أحدث خلا في النسيج الاجتماعي وترك آثاراً كارثية على المجتمع السوري.

وكذلك تزايد عدد النازحين الذين هجروا من مناطقهم بسبب العنف المتصاعد في مدن كحمص، وأدلب، وحلب، وريف دمشق، وقد قدر عدد النازحين حوالي ٤,٢٥

¹⁷ المعارضة السورية: مخاطر التشتت وضرورات التوافق تقرير موقف، الجزيرة للدراسات، ١٢ سبتمبر ٢٠١٣، للمزيد أنظر

<http://studies.aljazeera.net/postionestimate/2013>

¹⁸ محمود بيومي، اللاجئون السوريون في دول الجوار: أزمة إنسانية وتداعيات إقليمية، الأهرام الاستراتيجي، ١ مايو ٢٠١٣،

المزيد أنظر <http://www.digital.ahrām.org/articles.aspx?ser>

مليون نازح ضمن الحدود السورية كما أحدثت الأزمة السورية ضغوطاً على دور الجوار المستضيفة للاجئين السوريين تحديداً العراق ، والأردن ، ولبنان ، وتركيا¹⁹. وفي تركيا قد تجاوز عدد اللاجئين السوريين ١٥٠ ألف لاجئ يتوزعون على أربعة عشر مخيماً ، بناءً على تصريحات رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان في يناير ٢٠١٣ ، بينما بلغ عددهم في لبنان ٢٠٠ ألف لاجئ موزعين على مناطق طرابلس وبيروت والبقاع ، أما في الأردن فقد بلغ عدد اللاجئين ٢٩٠ ألف لاجئ ، وفي العراق بلغ عدد اللاجئين ٧٠ ألف لاجئ منهم ٥٨ ألف في أقاليم كردستان العراق²⁰. ويعد الحرمان والتهجير، وتشريد العائلات من التحديات الإنسانية التي تخلفها الصراعات، مما تؤدي إلى تأجيج الصراعات العرقية والمذهبية الذي يستغله المتطرفون لأهدافهم الخاصة، ومما يعقد المعالجة في بناء هذه المجتمعات بعد انتهاء الأزمة²¹.

3-تداعيات الأزمة السورية على الجانب الاقتصادي:

شهدت الأزمة السورية الكثير من التعقيد في ظل عوامل متداخلة ، وما تبعها من مشاكل أهمها²²:

-الزيادة في معدلات التضخم سببه انخفاض الإيرادات الحكومية بنحو ٢٥% عام ٢٠١٢ نتيجة الحظر المفروض على العائدات النفطية المقدر بنحو ٤ مليار دولار²³.
-فقدان السيطرة من قبل الحكومة السورية على الجزء الأكبر من الأراضي الغنية بحقول النفط، وتمكن حزب الاتحاد الديموقراطي الكردي من السيطرة عليها في الشمال الشرقي ، والجزء الآخر خضع لسيطرة التنظيمات المسلحة في المنطقة الشرقية ؛ وهذا أدى إلى تراجع البنية التحتية الخاصة بقطاع الطاقة ، حيث تراجع إنتاج النفط الخام إلى ٢٠ ألف برميل يوميا ، بعد ما كان يبلغ ٣٨٠ ألف برميل في اليوم ، أما إنتاج الغاز فقد انخفض إلى الثلث من الإنتاج.

¹⁹ ريفلين بول حرب التدمير الذاتي في سوريا وتداعياتها الإقليمية، جامعة تل أبيب، مجلة اقتصادي، مجلد ٣، العدد ٦٠٦ ، ٢٠١٣ ، ص ١.

²⁰ محمود بيومي اللاجئين السوريين في دول الجوار، مصدر سبق ذكره.

²¹ خالد العطية، الأزمة السورية خطر يهدد بخلق جيل ضائع ، ١١ فبراير ٢٠١٥ ، بوابة الشرق للمزيد ينظر: <http://www.al-sharq.com/news/details/308507>

²² منى علمي ، ضياع مستقبل سوريا الاقتصادي، مؤسسة عمار ينبغي للسلام الدولية، ١٩ نوفمبر ٢٠١٣ ، للمزيد أنظر

<https://carnegieendowment.org/sada/19/11/2013>

²³ الحالة والتوقعات الاقتصادية في العام ٢٠١٣ ، تقرير الأمم المتحدة للشؤون الاقتصادية والاجتماعية، ص ٢ ، للمزيد أنظر:

[shtml.INDEX/wesp/policy/desa/development/en/org](http://www.shtml.INDEX/wesp/policy/desa/development/en/org)

- هجرة رؤوس الأموال والخبرات البشرية إلى الخارج بعد فرض العقوبات الاقتصادية على النظام السوري ، ويعد حجم الأموال التي هربت إلى الخارج بنحو ٢٢ مليار دولار أمريكي ، مما أضر بالاقتصاد السوري بما نسبته %٣٠ - %٤٠²⁴.

- الضرر الكبير الذي لحق بالبنية التحتية لاسيما القطاع الصناعي في العديد من المدن السورية ، فقد توقف البناء في ٣٣٦٠ منشأة ، و ٦٧٧ منشأة عن الإنتاج ، وخروج ٨٧٤٨٤ عاملاً من عملهم في تلك المدن ، وكانت الحصة الأكبر من التدمير الذي لحق بمدينة حلب التي تمثل العاصمة الاقتصادية لسوريا ، ففي التقرير الصادر عن بنك بيلوس توقف نحو 75% من المنشآت الإنتاجية عن العمل في مدينة حلب كما انخفض عدد العاملين فيها إلى ٨٤٠٠ عامل بعد ما كان عددهم ٣٨٨٠٠ عامل ، مما اضطرت الحكومة السورية لنقل المدينة الصناعية من منطقة الشيخ نجار إلى حي الجبيلية في نفس المدينة الذي تسبب بإلحاق الضرر بالجانب الاقتصادي وارتفاع معدلات البطالة داخل سوريا²⁵.

- بسبب تعطيل الدورة الاقتصادية تراجع حجم الإنتاج والناتج المحلي، وتراجع معدل الصادرات، ونمو القطاعات الاقتصادية الذي تسبب في انخفاض سعر صرف الليرة السورية بشكل كبير، وأيضاً قد ارتفعت تكاليف الإنتاج بسبب ارتفاع سعر الوقود والطاقة التي أسهمت في ارتفاع الأسعار الذي جعل الصعوبة في المعيشة.

المطلب الثاني: موقف الدول العربية تجاه الأزمة السورية

مطلب الاول : موقف دول مجلس التعاون الخليجي تجاه الأزمة السورية

نظراً لأهمية الأزمة السورية وتطور أحداثها السريعة وانعكاس أثارها على مواقف الدول الأعضاء في مجلس التعاون الخليجي؛ إذ تباينت المواقف ، فبعض الدول تميز موقفها بدور أكبر من غيرها فيما يتعلق بقضايا السياسة الخارجية نظراً لاختلاف المصالح ، وأيضاً خشية بعض دول الخليج من ما تؤول إليه الأحداث في سوريا في حال استمرار العنف المتزايد الذي بدوره يهدد أمن واستقرار المنطقة بصورة عامة، والدول الخليجية بصورة خاصة ؛ لذلك اختلفت مواقف دول مجلس التعاون الخليجي بين أطراف داعمة للجماعات المسلحة وبين أطراف أخرى فضلت الوقوف على الحياد ، وليس من الصعوبة رؤية مواقف دول مثل المملكة العربية السعودية، ودولة قطر، ودولة الإمارات العربية المتحدة كان لها الأثر المحوري في إدارة الأزمة السورية²⁶، وسنوضح مواقف تلك الدول الفاعلة في الأزمة السورية وتطور أحداثها .

²⁴ حركة سوريا للأبحاث والدراسات ، الواقع الاقتصادي والاجتماعي في ظل الثورة السورية ، سوريا ، ٢٤ تشرين الثاني ٢٠١٣ ، ص ٢٠ .

²⁵ منى علمي ، مصدر سبق ذكره .

²⁶ محمد هويد ، دول الخليج والأزمة السورية ، السياسة الداخلية ، القاهرة ، ٢٠١٢ ، ص ٦٧ .

١. الموقف السعودي

امتدت العلاقات السعودية - السورية إلى عدة مراحل تميزت بالتعاون تارة وفي مرحلة أخرى بالقطيعة والتنافس²⁷.

إضفاء الشرعية الدينية على دعم التنظيمات المسلحة المقاتلة في سوريا عن طريق الفتوى التي أصدرها مفتي السعودية الشيخ عبد العزيز آل الشيخ في شهر مارس عام (٢٠١٢) م التي نصت " بوجوب تقديم كافة أنواع الدعم المادي والعسكري لما يسمّى بالجيش السوري الحر في جهاده ضد نظام بشار الأسد" ، هذا من جانب ومن جانب آخر أسهمت السعودية بشكل فاعل ومؤثر في دعم المجاميع المسلحة المنتشرة في سوريا بالمال والسلاح لتغيير مسار الأزمة من إطارها السلمي إلى الإطار العسكري²⁸. ونظراً للتطورات التي حصلت على الساحة السورية كان هناك اجتماع بين أغلب دول الخليج على أن الرئيس السوري بشار الأسد قد وصل إلى حدٍ من الشراسة والقتل بحيث لا يمكن التعامل معه ؛ وعليه فإنّ من المصلحة البلدان الدول الخليجية وسوريا هو دعم حركة الشعب السوري والعمل على إسقاط النظام، كما أنّ السعودية أعلنت في كانون الأول من عام (٢٠١٥) عن تشكيل تحالف إسلامي، الهدف منه مواجهة الإرهاب ويتخذ من الرياض مقراً له في محاولة لتغيير الوضع الإقليمي في المنطقة الذي ضم (٣٥) دولة بقيادة السعودية ، ومن أبرز دول التحالف هي: تركيا ، باكستان "دولة نووية"، مصر ، السعودية ، ماليزيا ، المغرب، الإمارات، وانضمت إليه اندونيسيا في فترة لاحقة.

وتشير التقارير إلى أن الحلف يضم ما يقارب أربعة ملايين عسكري ، بالإضافة إلى خمسة ملايين جندي احتياط ، وأكثر من (٢٥٠٠) طائرة حربية، و (٢١) ألف دبابة ، و (٤٦١) مروحية، و (٤٤) ألف عجلة قتالية²⁹.

ثم أعلنت السعودية على لسان مستشار وزير دفاعها نيتها المشاركة بدور أكبر في الأزمة السورية وإن بلاده على الاستعداد لإرسال قوات برية إلى سوريا بمجرد اتخاذ التحالف الدولي قراراً بذلك³⁰ ؛ ويتضح مما تقدّم أنّ السعودية كان لها دور كبير ، وأنّها من الدول الرئيسة والمؤثرة في الأزمة السورية ، فقد استطاعت الحصول على تأييد دولي للمشاركة في أن تكون طرفاً في الصراع الدائر في الأراضي السورية.

²⁷ عزمي بشارة ، سوريا درب الألام نحو الحرية محاولة في التاريخ الراهن، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، بيروت ، ٢٠١٣، ص٥٣٠.

²⁸ إبراهيم عبد الكريم وآخرون ، موقف الثورات العربية ، ط١ ، عمان ، دراسات الشرق الأوسط ، ٢٠١٢ ، ص٧٦ .

²⁹ عبد الحفيظ عبد الرحيم محبوب ، إعادة رسم النفوذ ما بين داعش والجماعات المسلحة المدعومة من إيران، المركز الأوربي العربي للدراسة مكافحة الإرهاب والاستخبارات للمزيد ينظر: <http://europarabct.com>

³⁰ بدر الراشد ، اجتماع التحالف الإسلامي " ، من دون نوايا عسكرية ، صحيفة العربي الجديد ، العدد ٥٢٩ ، ١١/٢/٢٠١٦ .

2-الموقف القطري

اتسمت العلاقة بين سورية وقطر بأنها ذات بعد استراتيجي ؛ إذ كان هناك تقارب وتعاون على الصعيدين السياسي والاقتصادي، فكانت قطر داعمة للمواقف السورية وأشادت بدعم سوريا للمقاومة على الرغم من استياء بعض الدول العربية من هذا الموقف وتحديداً الخليجية منها ، وكان لقطر دور في إنهاء العزلة المفروضة على سوريا بعد اغتيال رئيس الوزراء اللبناني الأسبق رفيق الحريري.

ومع اندلاع الأزمة السورية بدأت العلاقة بين البلدين تتخذ منحى مغايراً ومفاجئاً بالمقارنة إلى ما كانت عليه الأمر الذي دفع قطر للعب دور محوري وأساسي في الأزمة السورية في إطار الجامعة العربية ؛ إذ استطاعت من خلق إجماع عربي لممارسة الضغط على النظام السوري عبر دعم المبادرة العربية والاعتراف بما يسمّى الائتلاف الوطني ممثلاً للشعب السوري ، إضافة إلى إغلاق قطر سفارتها بدمشق وتعليق أعمالها لأجل غير مسمى أثر مظاهرات نظمها مؤيدون للنظام السوري أمام مقرها احتجاجاً على سياسة قناة الجزيرة القطرية تجاه الأحداث والاحتجاجات التي تجري في سوريا³¹.

وقد أعلن رئيس الوزراء القطري السابق حمد بن جاسم في مؤتمر صحفي مشترك مع المستشار الألمانية ميركل دعم بلاده المطلق للمعارضة السورية؛ لأنها لا ترى أي أمال في أن يجري الرئيس السوري بشار الأسد إصلاحات، وأن الحل العسكري في سوريا هو الحل الوحيد؛ وبذلك تكون دولة قطر أولى الدول الداعمة للتنظيمات المسلحة³².

ونتيجة لتلك المواقف أسهمت سياسة دولة قطر في تعميق الأزمة السورية عبر عقد اجتماعات للقوى المناهضة للنظام السوري، وكان أهمها اجتماع الدوحة الذي عقد في الثامن من تشرين الثاني عام (٢٠١٢) الذي نتج عنه ما يسمى بالائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة ، كما نص الاجتماع على ضرورة العمل على توحيد ودعم المجالس العسكرية والتشكيلات والكتائب، و الكيانات العسكرية كافة، فضلاً عن إنشاء قيادة عسكرية عليا تنزع تلك الكيانات والتشكيلات المسلحة³³.

وفي ظل هذه الظروف راهنت دولة قطر على نجاح مشروع الإخوان المسلح في سوريا بعد نجاح تجربة الإخوان وتسلم السلطة في مصر ؛ إلا أنها لم تنجح بسبب قوة

³¹ محمد عبد الجواد ، سوريا وقطر ، صداقة التهمتها نيران الثورة ، موقع المصري ، ٢٠١٤ ، للمزيد ينظر: .

<http://www.almasryalyoum.com/news/details/386534>

³² محمد النعماني ، الازمة السورية وجهات نظر ، الموقع الرئيسي لمؤسسة الحوار المتمدن ، ٢٠١٣ ، للمزيد ينظر: .

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=340909>

³³ المعارضة السورية : مخاطر التشتت وضرورات التوافق ، مركز الجزيرة للدراسات ، مصدر سبق ذكره .

النظام وحلفائه من جهة ، وتقاطع سياسة السعودية مع السياستين التركية والقطرية من جهة أخرى ، وحليفها تركيا الإخوانية فبعد سقوط حكم الإخوان في مصر كان الملك السعودي عبد الله بن عبد العزيز أول المهنيين للنظام الجديد في مصر³⁴.
وقد عبر رئيس وزراء دولة قطر السابق ووزير خارجيتها حتى عام (٢٠١٣) (حمد بن جاسم بن جبير آل ثاني) بخصوص أبعاد قطر من إدارة الأزمة السورية على يد السعودية بالقول "سأقول شيئاً واحداً وربما لأول مرة : عندما بدأنا نخرط في سوريا سنة (٢٠١٢) ، كان لدينا الضوء الأخضر بأن قطر من شأنها أن تقود ذلك ؛ لأنّ السعودية لم تكن في ذلك الوقت تريد القيادة " ، وتابع قائلاً : "بعد ذلك كان هناك تغيير في السياسة السعودية لم تبلغنا أنها تريدنا في المقعد الخلفي ، لقد انتهى الأمر إلى التنافس وهذا لم يكن صحيحاً³⁵.
فضلاً عن دور الولايات المتحدة الضاغطة على قطر لتسليم قيادة الملف السوري إلى السعودية³⁶.

3-الموقف الإماراتي :

لا يمكن تحليل موقف دولة الإمارات العربية وانعكاسه تجاه الأزمة السورية ، دون تحليل العلاقات بين البلدين، إذ شهدت خلالها تطوير العلاقات الثنائية بين دولة الإمارات العربية وسوريا في مجالات عدة ، كالتعاون المصرفي ، والاستثمار المشترك وفي مجال التربية والتعليم وفي مجال تكنولوجيا المعلومات، كما شملت قطاع النقل والمواصلات، وتم توقيع العديد من الاتفاقيات التجارية والكمركية بين الدولتين كما أسهمت تبادل الزيارات بين مسؤولي البلدين في تطوير وتعميق العلاقات خاصة في المجال الاقتصادي³⁷.

إذ تعد دولة الإمارات العربية ثالث أكبر شريك تجاري لسوريا من بين الدول العربية ، فحسب الدراسات الإحصائية التي تشير إلى ارتفاع التبادل التجاري بين البلدين من حوالي (٢٣٨) مليون دولار في عام (٢٠٠٤) ، والى (٣٢٢) مليون دولار في عام (٢٠٠٩) ، بمعدل سنوي بلغ حوالي (٦,٣%) ، بينما قدرت استثمارات دولة الإمارات العربية داخل سوريا نحو (٢٠) مليار دولار في مختلف القطاعات ، وتشير

34 خالد إسماعيل سرحان ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٤١ .

35 احمد بن جاسم ، هكذا أراحت السعودية قطر من سوريا ، مقال نشر بتاريخ ٢١ نيسان عام ٢٠١٦ ، للمزيد ينظر:

<http://www.radiosawa.com/a/hamad-bin-jassim-qatar-saudi-syria303986.html>

36 خالد إسماعيل سرحان ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٤٢ .

37 محمد هويد ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩٠ .

الإحصائيات إلى وجود نحو (١١٧٨) شركة ومؤسسة سورية تعمل في دولة الإمارات عام (٢٠٠٧)³⁸.

وكانت علاقة التعاون والتفاهم هي السمة البارزة التي تطبع العلاقة بين سوريا ودولة الإمارات العربية المتحدة ، إذ يُعد النظام السوري بقيادة الرئيس السابق حافظ أسد من أوائل الدول التي اعترفت بالاتحاد الإماراتي وتحديداً في اليوم الثاني من تشكيله ، وكان النظام السوري موقفه داعماً للإمارات في الكثير من أزماتها ، وقابلت الإمارات دولة سوريا بالمثل ، إذ أكدت الإمارات على حق سوريا في استعادة الجولان من الكيان الإسرائيلي ووقوفها إلى جانب سوريا في قضيته العادلة ، وتجلّى هذا الدعم في موقف سوريا في حرب الخليج الثانية ووقوفه إلى جانب الكويت والمشاركة عسكرياً في عملية تحرير الكويت ، وتأكيد سوريا على دعم العلاقة بينه وبين دول الخليج التي تعد الإمارات واحدة من دول مجلس التعاون الخليجي³⁹.

وبصدد الوقوف على موقف دولة الإمارات من الأزمة السورية فقد امتازت المواقف السياسية لدولة الإمارات بين المد والجزر بحيث لم يكن هناك موقف إماراتي واضح تجاه الأزمة السورية ، إلا أنها لم تخرج عن الموقف العام لدول الخليج لاسيما الموقف الأقوى للسعودية وقطر ، وقد مورست ضغوط على دولة الإمارات من قبل السعودية لتبني موقفاً داعماً لما يجري في سوريا تجاه النظام وحلفائه ؛ لكن هناك عدة أسباب جعل الإمارات تمارس سياسة حذرة في بداية الأزمة ، منها حجم الاستثمارات الاقتصادية الضخمة في سوريا التي تجاوزت العشرين مليار دولار قبل اندلاع الأزمة ، والعداء الإماراتي للحركات الإسلامية خاصة "جماعة الإخوان المسلمين" وخوفها من استبدال النظام السوري بنظام الإخوان المسلمين ، ولكن الموقف الجمعي لمجلس التعاون الخليجي اتجه القضية السورية، أثر كثيراً على الإمارات، وإن المصير المشترك لدول ذلك المجلس حتم على دولة الإمارات أن تتبنى موقفاً سلبياً اتجاه النظام السوري، إذ قامت بسحب سفيرها من سوريا ، ورحبت بقرارات ما يسمى بالائتلاف الوطني، وتقديم الدعم والمساعدات إلى ما يسمّى بالجيش الحر وفصائل علمانية وأخرى إسلامية⁴⁰.

يتضح من ذلك أن الموقف السعودي والقطري قد سعيا لإسقاط نظام الحكم في سوريا إلا أن الخلاف بدأ واضحاً بين الدوليتين ، فالسعودية ساندت و دعمت قوى وطنية وتيارات إسلامية محددة ، في حين فضلت قطر دعم جميع أطراف المعارضة السورية

38 ناصر زيدان ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٥ .

39 محمد هويد ، مصدر سبق ذكره ، ص ٨٧ .

40 المصدر نفسه ، ص ٨٨ .

بما فيها جماعة الأخوان المسلمين على الرغم من وجود تنسيق سعودي قطري منذ بداية الأزمة يتمثل بتحقيق أهدافهم المشتركة بإسقاط النظام السوري.
المطلب الثاني : موقف الدول العربية من تداعيات الأزمة السورية
١. الموقف العراقي

اتسم الموقف العراقي الرسمي بالحذر والترقب ، وذلك لخشية العراق من أن تؤثر الأزمة السورية تأثيراً مباشراً على الوضع الداخلي العراقي في حال تمكنت التنظيمات المسلحة من السيطرة على سوريا ، وذلك لما يتمتع به البلدان من خصوصية جغرافية وأمنية حيث يشترك العراق مع سوريا بحدود تصل إلى (٦٥٠) كم فضلاً عن تأثير الأزمة السورية على التوازن الإقليمي الذي ينعكس سلباً على المنطقة بصورة عامة⁴¹. وقد تبنت الحكومة العراقية العديد من القرارات والمواقف المساندة لسوريا منها : تحفظ العراق على التصويت على القرارات، والمواقف الخاص بتعليق عضوية دولة سوريا في الجامعة العراقية على التصويت على القرارات، والمواقف الخاص بتعليق عضوية دولة سوريا في الجامعة العربية والصادرة بتاريخ ٢٣ تشرين الثاني ٢٠١١ ، ومنح مقعدها الدائم للمعارضة السورية ، وأيضاً تحفظ العراق على القرار الأخير الذي صدر من مجلس الجامعة العربية الذي تضمن فرض عقوبات اقتصادية اتجاه الحكومة بتاريخ ٢٧ تشرين الثاني سنة ٢٠١١ ، وفي المبادرة العربية الثانية في اجتماع مجلس الجامعة العربية في ٢٢ كانون الثاني ٢٠١٢ ، وكان العراق داعماً وصوّت لصالحها التي نصت على تفويض الرئيس السوري بشار الأسد صلاحياته لنائبه لتشكيل حكومة وحدة وطنية فيما أعلن العراق تحفظه على قرار القمة العربية التي انعقدت في العاصمة القطرية الدوحة سنة ٢٠١٣ ، والمتضمن منح مقعد سوريا للمعارضة ، وقد عد العراق القرار سابقة خطيرة في تاريخ الجامعة العربية⁴².

وكان موقف العراق واضحاً منذ بدايتها في عدم التدخل العراقي في الأزمة السورية باعتبارها أزمة داخلية ، وقد نص الدستور العراقي في المادة الثانية لعام ٢٠٠٥ " على مبادئ حسن الجوار ، والالتزام بعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى ، والسعي لحل النزاعات بالوسائل السلمية ، وإقامة علاقاته على أساس المصالح المشتركة والتعامل بالمثل ، واحترام التزاماته الدولية⁴³. وقد دعم العراق التغيير في

⁴¹ ريان زنون العباسي ، علاقات دمشق وبغداد أمام تحدي الثورة السورية، مركز الجزيرة للدراسات ، ٢٣ أكتوبر سنة 2011، للمزيد ينظر. <http://studies.aljazeera.net/reports/2011/10/2011/0239574593769.htm> . المصدر نفسه .

⁴³ الدستور العراقي لعام ٢٠٠٥ ، الباب الأول من المبادئ الأساسية ، المادة (٨) .

سوريا عن طريق الحوار والتفاهم ، رافضاً للخيار العسكري وإثارة النعرات الطائفية التي تسهم فيما بعد بالاستقطاب الطائفي⁴⁴.

لذا أكد العراق وفي جميع المحافل الإقليمية والدولية على ضرورة حل الأزمة السورية عن طريق الحوار والتفاهم بين النظام السوري وأطراف المعارضة المعتدلة ، وقد أكد أيضاً أن يختار الشعب السوري تقرير مصيره ؛ لأنه الوحيد الذي يملك هذا الحق.

٢. الموقف اللبناني

العلاقة بين سوريا ولبنان علاقة لها جذور تاريخية متداخلة و مترابطة بين البلدين التي كانت سوريا الطرف المؤثر في تلك العلاقة حيث كان تأثيره واضحاً على معظم المستويات ؛ ولكن تأثرت هذه العلاقة وتراجعت كثيراً بعد حادثة اغتيال رئيس الوزراء اللبناني الأسبق رفيق الحريري ، مما خلقت تداعيات على الساحة السياسية ، وعلى أثر تلك الحادثة انقسمت الأحزاب السياسية ما بين مؤيد للنظام ومعارض للنظام السوري ، وقد أفرز هذا الانقسام تحالفين أحدهما مؤيد للنظام السوري الذي سمي بتحالف (٨) آذار والمتكون من حزب الله، وبعض الأحزاب السياسية السنية والمسيحية ، والآخر تحالف قوى (١٤) آذار الذي ضم أحزاب سنية ومسيحية ودرزية ، وفي ظل هذا الانقسام تزايد الضغط الدولي على سوريا من أجل إخراجها من لبنان، وعلى الرغم من هذا الانقسام الداخلي والتجاذبات الإقليمية والضغط الدولي تمكنت سوريا من الاحتفاظ بمكانة لها داخل لبنان عن طريق توطيد العلاقة مع حزب الله وبعض القوى الأخرى⁴⁵.

وفي ظل الأزمة السورية اتسم الموقف اللبناني الرسمي بالوسطية من خلال إتباع سياسة الحياد والابتعاد عن سياسة المحاور ، والتزم لبنان بالتضامن العربي في إطار الجامعة العربية ؛ وذلك للحفاظ على لبنان من تداعيات الأزمة السورية التي قد تسبب في تمزيق البلاد ، والانزلاق نحو حرب أهلية قد ضاق مرارتها جميع اللبنانيين ، إلا أن إطالة أمد الأزمة وتسارع الأحداث في سوريا ، والتأثير الإقليمي والدولي فرض على الساحة السياسية اللبنانية انقساماً واضحاً بين القوى الداعمة للنظام السوري المتمثلة بقوى (٨) آذار، وقوى (١٤) آذار التي رأت من الأزمة السورية فرصة الدعم المعارضة، والعمل على إسقاط القوى الإقليمية الداعمة لحزب الله⁴⁶.

44 ناصر زيدان ، دور روسيا في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا من بطرس الأكبر حتى فلاديمير بوتين ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت، لبنان ، ط ١ ، ٢٠١٣ ، ص ٣٠.

45 غسان العربي ، تداعيات الأزمة السورية على مستقبل حزب الله ، مركز الجديد للدراسات ، يوليو ، ٢٠١٢ ، للمزيد انظر:

<http://iumsonline.org/ar/default.asp?contentip=45798/menuid=12>

46 حازم نهاد ، لبنان وسوريا : الأزمة وانعكاساتها ، صحيفة الجمهورية ، ٢٩ ، ديسمبر ، ٢٠١٢ ، للمزيد انظر

<http://trerepualicgs.net/261>

وقد أدركت المقاومة الإسلامية حزب الله من الأيام الأولى للازمة السورية أنّ ما يتعرض له مؤامرة كبرى تهدف إلى كسر محور الممانعة ومحاصرة المقاومة الإسلامية ؛ لذا كان يرى الحزب أن هذه الحرب هي حرب مقدسة ووجودية بالنسبة إليه ، وأنها بين محورين الأول : بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية لغرض سيطرتها على المنطقة ، والمحور الآخر محور الممانعة بقيادة الجمهورية الإسلامية الإيرانية ، وقد تبنى حزب الله استراتيجية في سوريا تقوم على مرحلتين هما⁴⁷:

التدخل المحدود : الذي اقتصر على تقديم المشورة والخبرات للنظام السوري وتقديم المعلومات الاستخبارية حول أنشطة التنظيمات المسلحة.

التدخل المباشر : بعد تطور أحداث الأزمة السورية وتفاقم الوضع الأمني والعسكري في سوريا ، وتزايد نشاط المسلحين على الحدود السورية - اللبنانية حدث تبدل في استراتيجية المقاومة الإسلامية من التدخل المحدود إلى التدخل المباشر ، وقد ثبت الحزب وجوده عن طريق الانتصارات التي حققها في جميع المعارك ولاسيما في معركة القصير ، إذ نجحت المقاومة في تحقيق أهدافها في تأمين الحدود اللبنانية - السورية ، وقطع الإمدادات عن المسلحين من منطقة القلمون ، وتأمين الطريق بين دمشق ، حمص وحلب - الشمال ، والتصدي للجماعات المسلحة في بقية المدن السورية.

3. الموقف المصري

اتسم الموقف المصري بالضعف وعدم الاهتمام بما يجري من تطورات الأزمة السورية ، ويعود ذلك لمجموعة عوامل أهمها عدم قدرة مصر في التأثير في الأزمة السورية لعدم توافر أدوات القوة وما تمر به مصر من ظروف استثنائية على المستوى الداخلي كل هذا أسهم في عدم وضوح دور مصر على المستوى الإقليمي بصورة عامة والأزمة السورية بصورة خاصة⁴⁸. وبعد تصاعد حدة التوتر في سوريا وتزايد العنف وتصاعد المواقف الإقليمية والدولية تجاه الأزمة السورية بدأ الموقف المصري يتبلور أكثر حين أصبح أكثر وضوحاً برفض الحلول العسكرية ، والعمل على إيجاد حل سياسي يقوم على أساس الحوار والتفاهم، وتشترك فيه جميع القوى السياسية من

47 علي يوسف ، دور حزب الله في التحالف السوري - اللبناني ، مركز بلادي للدراسات والأبحاث الاستراتيجية ، العدد ١٠ ، بغداد ، ٢٠١٥ ، ص ٣٢٢.

48 نيفين مسعد ، ناجي محمد وآخرون ، حالة الأمة العربية ، ٢٠١٢ - ٢٠١٣ ، مستقبل التغيير في الوطن العربي مخاطر داهمة ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، ٢٠١٣ ، ص ٢١٦.

الطرفين (الحكومة والمعارضة) ، ومن جانب آخر التأكيد على دعم المبادرات العربية ، وعدم تدويل الأزمة السورية ، ورفض التدخل العسكري في سوريا⁴⁹. فمصر لم تكن بعيدة عن تأثير التنظيمات الإرهابية ؛ إذ نفذ تنظيم بيت المقدس الذي أعلن عن مبايعته لتنظيم الدولة الإسلامية "داعش" عدة عمليات على الجيش المصري في شمال سيناء.

ولاسيما عملية " كرم القواديس " الذي كان بمثابة إعلان رسمي عن وجود تنظيم "داعش" في مصر، وعلى الرغم من هذه التطورات الأمنية التي شهدتها الساحة المصرية ، إلا أنها رفضت التدخل العسكري في العراق وسوريا، وقد جاء هذا الرفض في خطاب الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي ؛ إذ قال : " الجيش العراقي قوي بما فيه الكفاية لمحاربة المتشددين⁵⁰.

ويبين من ذلك أن الدور المصري تراجع بعد ما كانت مصر مركز ثقل العالم العربي وصاحبة التأثير الأكبر في مجمل القضايا العربية لصالح دول عربية أخرى كالسعودية وقطر التي قادت التفاعلات العربية تجاه الأزمة السورية.

4- الموقف الأردني

أظهرت الأردن موقفاً اتسم بالدبلوماسية والغموض اتجاه الأزمة السورية واعتماد سياسة النأي بالنفس اتجاه التحولات في عموم المنطقة ولاسيما في سوريا ؛ لكي لا يتأثر الداخل الأردني بما يجري من تداعيات في المنطقة العربية، مما يولد مطالبية الشارع الأردني بتحقيق الإصلاح السياسي، أو المطالبة بالملكية البرلمانية ، وتعود خشية الأردن من عدم اتخاذ موقفاً واضحاً اتجاه الأزمة السورية هو عدم قدرة النظام السوري السيطرة على تداعيات الأزمة، مما يؤثر سلباً على المملكة الأردنية التي ستكون أحد ضحاياها⁵¹.

أظهرت الأردن قلقها من الأزمة السورية ، وما تسببه في توتر الأوضاع بصورة عامة ، وانتشار الفوضى والصراع المسلح، واستقطاب المقاتلين الأجانب من مختلف الدول الأمر الذي ينعكس سلباً على الداخل الأردني بالإضافة إلى ذلك خشية النظام الأردني من سقوط النظام في سوريا ، وإنشاء حكومة ديمقراطية ممكن أن تعزز من فرص التحولات الديمقراطية في المنطقة العربية التي تكون الأردن جزءاً منها من الواضح

49 محمود حمدي أبو القاسم ، قراءة في الموقف الأمريكي تجاه الأزمة السورية، مركز الأهرام ، ٢٠١٢ ، للمزيد ينظر

<http://digital.ahram.org.eg/articles.aspx?serial=1097996&eid=1875>

50 عبد الفتاح السيسي ، ندع الحرب على داعش دون التدخل عسكرياً ، موقع العربية نت بتاريخ ٢٣ أيلول ٢٠١٤ ، للمزيد

ينظر : <http://www.alarabiya.net/ar/mab/arab-and-world/egypt/23/09/2014>

51 شفيق شفيق ، موقف الأردن من الأزمة السورية موقف بناء أم تناقض ، مركز الجزيرة للدراسات ، ١٥ فبراير للمزيد ينظر

<http://studies.aljazeera.net/reports/0290736845/210/2014/02/2014> .

أن استمرار الأزمة السورية قد مثلت عبئاً كبيراً على الاقتصاد الأردني ، وأيضاً تهديداً أمنياً بسبب إيوائها للأعداد الكبيرة من اللاجئين السوريين⁵².

وبعد ازدياد وتيرة العنف وتطور أحداث الأزمة السورية ، وتصاعد حدة المواقف الإقليمية والدولية اتجاه سوريا طالب الملك الأردني عبد الله الرئيس السوري بالتحني عن السلطة ، ومساندة وتقديم الدعم للمعارضة ومنح الائتلاف المعارض في سوريا مقعداً في الجامعة العربية ، ويُعد هذا

تبدلاً في موقف المملكة الأردنية الذي اتسم بالدبلوماسية والغموض في بداية الأزمة السورية على الرغم من خشية الأردن من الجماعات المسلحة المتشددة المرتبطة بالقاعدة التي تمثل تهديداً وجودياً له⁵³.

يتبين من ذلك أن المملكة الأردنية اتخذت سياسة حذرة ، تنسجم مع سياسة الأمر الواقع المتمثل بالحل السياسي ودعم تشكيل حكومة انتقالية في سوريا بسبب خشيتها من الجماعات المسلحة المتشددة والتي تمثل تهديداً لها على حدودها.

الخاتمة والاستنتاجات :

خلصت هذه الدراسة إلى أن موقف الدول العربية من الأزمة السورية كان متبايناً ومتغيراً على مدار السنوات، تبعاً لاختلاف المصالح والأجندات السياسية لكل دولة فقد انقسمت المواقف العربية بين الداعم للنظام السوري والمؤيد للمعارضة، والمحايد والساعي للوساطة. بالنسبة للدول الداعمة للنظام السوري، كانت الأسباب تتراوح بين المصالح الاستراتيجية والأمنية، والانتماء الأيديولوجي والمذهبي. في المقابل اتخذت الدول المؤيدة للمعارضة مواقف حادة ضد النظام، دعماً للثورة الشعبية والتطلعات الديمقراطية. أما الدول المحايدة والساعية للوساطة، فقد حاولت التوفيق بين المواقف المتصارعة، وتقديم حلول وسطية للأزمة، بهدف الحفاظ على وحدة سوريا واستقرارها الإقليمي. ومع ذلك، فإن هذه الجهود لم تنجح في إيجاد تسوية سياسية شاملة للأزمة حتى الآن في النهاية، يمكن القول إن موقف الدول العربية من الأزمة السورية قد أسهم في إشعال الصراع وتعميقه، عبر تقديم الدعم المباشر أو غير المباشر لأطراف المعركة. وهذا الانقسام العربي أدى إلى تفاقم التدخل الإقليمي والدولي في الشأن السوري، مما زاد من تعقيد المشهد وصعوبة إيجاد حل للأزمة.

ابرز الاستنتاجات :

52 عصام نعمان ، تداعيات الأزمة السورية على دول الجوار ، الخليج الإماراتية إيلاف ، العدد ٤٥٠٤ ، ٢٠ سبتمبر ، ٢٠١٣ ، للمزيد ينظر : <http://www.elaph.com/web/newspapers/2013/3/799660.html> .

53 - نيفين مسعد ، وآخرون ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٠ .

- ١- تباينت مواقف الدول العربية من الأزمة السورية بين الداعم للنظام وللمعارضة، وفقاً لاعتبارات سياسية واستراتيجية خاصة بكل دولة.
- 2- سعت الدول العربية من خلال مواقفها إلى تحقيق أهداف مختلفة، كالحفاظ على استقرار المنطقة، أو إضعاف نفوذ منافسين إقليميين أو حماية مصالحها القومية.
- 3- أدت مواقف الدول العربية إلى تعميق الانقسامات الإقليمية والدولية حول الأزمة السورية، وزادت من حدة التدخل الخارجي في الشأن السوري.

موانع ومسقطات حد الزنى

محمد بن حسين الحميدي

الدكتور صالح الوعيل

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَىٰ ۖ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا" سورة الإسراء: الآية 32

اما بعد...

فإن المتأمل في كتاب ربنا سبحانه وتعالى يصل بيقين إلى أن الله تعالى ما أقام هذا الدين إلا بالعدل الذي ما قامت السماوات والأرض إلا به قال تعالى: "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۗ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا"¹ وقال تعالى " إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۗ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ" فبالعدل يبقى المجتمع متماسكاً متيناً وبالعدل يعاد لكل ذي حق حقه.

فمن العدل أن يقام حد الزنا على من ارتكب هذه الجريمة بمحض اختياره ورضاه دون شبهة تذكر، ومن العدل أن لا يقام حد الزنا على قاصر الأهلية أو من عنده شبهة من شأنها أن تدرأ الحد عنه، ومن العدل أن يحافظ على هذا الحد فلا يحتال في ارتكاب هذه الجريمة ولا يحتال في درء هذا الحد على من ارتكبها. وفي هذا البحث نوضح موانع ومسقطات حد الزنى.

الخلاصة

موانع إقامة حد الزنى:

1- عدم التكليف.

2- الجهل.

¹ سورة النساء: الآية (58)

² سورة النحل: الآية (90).

3-إتيان الرجل زوجته أو مملوكته في دبرها.
وهناك أمور ظن البعض أنها موانع وليست كذلك:

1-اللواط.

2-وطء المرأة الميتة.

3-إتيان البهيمة.

4-دار الحرب أو البغي.

مسقطات حد الزنى:

1-الإكراه.

2-الرجوع عن الإقرار.

3-رجوع الشهود على الزنى عن الشهادة أو أحدهم.

4-إذا ثبت أن المرأة عذراء سقط عنها الحد.

5-فوات المحل كالموت.

6-الشبهة.

هناك أمور ظن البعض أنها مسقطات وليست كذلك:

1-التقادم.

2-من زنى بامرأة ثم تزوجها أو أمة ثم اشتراها.

3-التوبة.

والله أعلم.

خطة البحث

المبحث الأول:تعريف الزنى،مشروعية حد الزنى،الحكمة منه.

المطلب الأول:تعريف الزنى.

المطلب الثاني:مشروعية حد الزنى ،والحكمة منه.

المبحث الثاني:موانع إقامة حد الزنى.

المبحث الثالث:مسقطات حد الزنى.

**المبحث الأول: تعريف الزنى، مشروعية حد الزنى، الحكمة منه.
المطلب الأول: تعريف الزنى.**

في اللغة¹: هو مصدر زنى يزني زناً بالمد وزنى بالقصر إذا فجر.
زناً: زناً إلى الشيء يزناً زناً وزُئواً لَجاً إليه أُرْزأه إلى الأمر أَلْجأه. ويطلق على معاني منها: التضيق، والحاقد لبوله، وزناً في الجبل يزناً زناً وزُئواً صَعِدَ.

في الاصطلاح:

عرفه الحنابلة فقالوا:

هو فعل الفاحشة في قبل أو دبر².

وعرفه الأحناف فقالوا:

هو اسم للوطء الحرام في قبل المرأة الحية، في حالة الاختيار، في دار العدل، ممن التزم أحكام الإسلام، العاري عن حقيقة الملك، وعن شبهته، وعن حق الملك، وعن حقيقة النكاح وشبهته، وعن شبهة الاشتباه في موضع الاشتباه في الملك والنكاح جميعاً³.

وعرفه المالكية فقالوا:

هو تغييب حشفة آدمي في فرج آخر دون شبهة حلية عمداً⁴.

وعرفه الشافعية فقالوا:

هو إيلاج الذكر بفرج محرم لعينه خال عن الشبهة مُشْتَهَى يوجب الحد⁵.

التعريف المختار:

تعريف المالكية هو الأقرب إذا أضفنا له قيداً فيكون التعريف: هو تغييب حشفة آدمي في فرج آخر، أو تمكينه، دون شبهة حلية، عالماً بالحرمة، مختاراً، متعمداً.

المطلب الثاني: مشروعية حد الزنى، والحكمة منه.

المسألة الأولى: مشروعية حد الزنى.

الأصل في مشروعية حد الزنى قوله تعالى: { الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشَهِدَ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ }⁶

وما ثبت من حديث عبادة بن الصامت قال: كان نبي الله صلى الله عليه وسلم إذا أنزل عليه كرب لذلك وتردد له وجهه قال فأنزل عليه ذات يوم فلقي كذلك فلما سري عنه قال: "خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً النيب بالنيب والبكر بالبكر الثيب جلد مائة ثم رجم بالحجارة والبكر جلد مائة ثم نفي"⁷.

1 - لسان العرب ج1 ص91، معجم مقاييس اللغة ص440، المعجم الوسيط ج1 ص402، عقوبة الإعدام ص489.

2 - الروض المربع ص664، منتهى الإرادات ج5 ص120.

3 - بدائع الصنائع ج5 ص486.

4 - الفواكه الدواني ج2

5 - مغني المحتاج ج5 ص456.

6 - سورة النور آية(2).

7 - أخرجه مسلم في صحيحه/كتاب الحدود/باب حد الزنى/رقم(1690)، سنن الترمذي/كتاب الحدود/باب ماجاء في الرجم على الثيب/رقم(1434)، سنن أبو داود/كتاب الحدود/باب في الرجم/رقم(4415)، سنن ابن ماجه/كتاب الحدود/باب حد

فبين الرسول صلى الله عليه وسلم بأن حد البكر الجلد مائة والنفي، وحد الثيب الرجم بالحجارة.

المسألة الثانية: الحكمة من حد الزنى.

من المقرر في الإسلام أن الزنى قبيح عقلاً قال الله تعالى { وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانِيَةَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا }¹ فوصف الله تعالى الزنى بأنه فاحشة من دون تخصيص قبل ورود النهي به.

فالزنى قبيح بالعقل قبل ورود الشرع، ولذلك عندما سمعت هند² زوجت أبي سفيان³ في آية المبايعة {ولا يزنين}⁴ قالت بفطرتها السليمة أو تزني الحرة... الخ. ولكن بعد أن طمست الفطرة عند كثير من الناس، وأصبحوا كالحيوانات لا يعقلون، احتاجوا إلى وسيلة تردعهم عن مثل هذا الفعل القبيح. والله أحكم الحاكمين وأعلم بما سيكون وسبق في علمه أن الناس سيصلون إلى هذه المرحلة؛ فلذلك شرع لهم ما يردعهم ويزجرهم عن اقتراف مثل هذه الفواحش، فشرع حد الزنا الرجم لمن كان محصناً، والجلد والتغريب لمن كان بكراً.

وهذا الحكم الإلهي جاء قبل أكثر من 1400 عام. وفي الوقت الحاضر جاءت العلوم الحديثة لتؤيد ما جاء عن الله، وتحذر الناس من مغبة الفاحشة.

يقول الدكتور هوفلند:

(لا أعلم بين جميع العلل المقصرة للحياة علة هي أكثر وبالاً وأجمع سبباً يجر المرء إلى حتفه كالإفراط في الفسق، فمن السهل علينا أن نعدّها أقرب الوسائل إلى تقريب الأجل).⁵

ويمكننا أن نلخص الحكم التي ظهرت لنا من إقامة الحد على الزاني، والإبتعاد عن هذه الفاحشة في التالي:

- 1- الزجر عن اقتراف هذا الفعل القبيح حتى لا يعود إليه.
- 2- الردع لمن تسول له نفسه، أو يحدثه الشيطان، ويزين له الولوج في هذا المستنقع، فيعتبر بغيره قبل أن يكون هو عبرة للآخرين.
- 3- تقوية أو اصر الأسرة التي يتكون منها المجتمع، فبقدر تماسك الأسرة الواحدة بقدر ما يتماسك المجتمع؛ لأن المجتمع عبارة عن مجموعة من الأسر فإذا تماسكت تلك الأسر

الزنى/رقم(2550)، مسند أحمد/ مسند الأنصار/ حديث عبادة بن الصامت/ج8، ص400 رقم(22766)، سنن الدارمي/كتاب الحدود/باب في تفسير قول الله تعالى: {أو يجعل الله لهن سبيلاً} النساء(15) رقم(2327).

1 - سورة الإسراء آية(32).

2 - هند بنت عتبة بن ربيعة القرشية أم معاوية بن أبي سفيان أخبارها قبل الإسلام مشهورة وشهدت أحداً ثم أسلمت هي يوم الفتح وقصتهما في قولها ثم بيعة النساء وأن لا يسرقن ولا يزنين فقالت وهل تزني الحرة ماتت في خلافة عثمان. (الإصابة ج8 ص155)

3 - صخر بن حرب بن أمية أبو سفيان القرشي الأموي مشهور باسمه وكنيته وهو أبو معاوية أسلم عام الفتح وشهد حنيناً والطائف كان من المؤلفات قال المدائني مات سنة أربع وثلاثين وقيل سنة إحدى وثلاثين وثلاثين في خلافة عثمان. (الإصابة ج3 ص412)

4 - سورة الممتحنة آية(12).

5 - التدابير الوقائية من الزنا في الفقه الإسلامي ص56.

فيما بينها تماسك المجتمع تبعاً لها والعكس صحيح؛ ولذلك ما نسمعه ونقرأه عن الغرب المنحل من تفكك أسري ما هو إلا نتاج الفاحشة.

يقول برتراندرسل:

(إن العلاقات العاطفية بين المتزوجين من الرجال والنساء خارج دائرة الحياة الزوجية؛ هي سبب شقاء الأزواج، وكثرة حوادث الطلاق، وليس عسيراً أن نجمع أمثلة كثيرة عن البيوت التي انهارت بسبب اتصال الأزواج والزوجات بغير شركائهم في الحياة الزوجية).¹

ومن ناحية أخرى فإذا كان وجود الأولاد يلعب دوراً هاماً في تأليف الأسرة وارتباطها، فإن هؤلاء ينجبون أولاداً، إذا قدر لهم أن ينجبوا، ولكن هؤلاء الأباء ليسوا على ثقة بأن هؤلاء أبنائهم، فلذلك تضعف الرابطة بين الأب والأبناء فيحدث أن يتخلى الأب عن ابنه، وتنتزع الرأفة والرحمة من قلوب الآباء، والعكس فيحدث التفكك الأسري.

ولكن في المجتمع المسلم القائم على منع الجريمة، ومعاقبة المفسد يحدث الثقة والاطمئنان بأن الولد لأبيه فتزداد الثقة، والمحبة بين أفراد الأسرة فتتماسك أركانها، ويتماسكها يتماسك المجتمع.

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى:

(ولما كان الزنى من أمهات الجرائم، وكبار المعاصي، لما فيه من اختلاط الأنساب الذي يبطل معه التعارف والتناصر على إحياء الدين، وفي هذا هلاك الحرث والنسل، فشاكل في معانيه أو في أكثرها القتل، الذي فيه هلاك ذلك، فزجر عنه بالقصاص ليرتدع عن مثل فعله من يهتّم به، فيعود ذلك بعمارة الدنيا، وصلاح العالم الموصل إلى إقامة العبادات الموصلة إلى نعيم الآخرة).²

4-التقليل من الجرائم.

وضع الشرع العقوبات الرادعة التي لا يمكن أن تحل محلها غيرها، ولذلك عاش المجتمع الإسلامي في أمن وطمأنينة في ظل الحكم الإسلامي الراشد، الذي أقام الحدود، ولم يفرط فيها، فكان الأمن على الأموال، والأعراض، والأنفس، والعقول.

أما عندما ينفرد عقد الأمان على الأعراض فالنتيجة المنطقية للإباحية الجنسية هي كثرة الجرائم؛ لأنه يترتب على انتشار الزنى كثرة أولاد الحرام، وهؤلاء يفقدون الحب والحنان، وهذان من أهم ما يحتاج إليهما الطفل، فينشأ في نفوسهم إحساس بالحرمان، ويولد لديهم بغض المجتمع، وحب الانتقام منه، فما أن يبلغوا سن الرشد حتى يعيشوا في الأرض الفساد، فينتهكوا الأعراض، وينهبوا الأموال ويقتلوا الأنفس، أضف

¹ -المصدر السابق ص67.

² -إعلام الموقعين ج2ص126.

إلى ذلك أن الشباب لا يجد ما يكبح جماح شهوته فيحاول تحقيقها ولو على حساب الآخرين فيسرق، وينهب، ويغتصب من أجل إشباع شهوته الحيوانية، فتكثر الجرائم ويعيش المجتمع في خوف ورعب لا يعلمه إلا الله.
جاء في تقرير صادر عن مؤتمر الإيدز (مرض نقص المناعة المكتسبة) بتاريخ 86/6/25 ونشرته صحيفة الجارديان بتاريخ 86/6/26 م.
(إن 300 ألف حالة إصابة بمرض الإيدز ستقع في عام 1991م وحده إذا انتشر (فيروس) المرض في بقية أنحاء العالم كانتشاره الآن في الولايات المتحدة). وصرح الدكتور (جيمس كرن Curran James Dr رئيس برنامج الإيدز في مركز مكافحة المرض في أتلانتا Atlanta) إن 74 ألف حالة جديدة ستهدد الولايات المتحدة في عام 1991 نفسه).

لكن لا يفوتنا أن نذكر أن 95% ممن يصابون به هم ممن يمارسون الشذوذ الجنسي، وأن الباقين ممن يتعاطون المخدرات أو ينقل لهم دم مصاب بهذا المرض، كما لا يفوتنا أن نذكر أيضاً أن أكثر من 90% ممن يصابون به يؤدي بهم أخيراً إلى الوفاة. 1. وأبلغ مؤتمر دولي لوباء الإيدز يوم 1988/6/13م أنه يتم في أمريكا حالياً تشخيص حالة إصابة بمرض الإيدز كل عشر دقائق. وإذا ما صحت تنبؤات الخبراء فإن هذه المأساة الفردية ستسجل كل خمس دقائق في عام 1993م.

ويعتبر تناول المخدرات عن طريق زرق الإبر، والشذوذ الجنسي على رأس قائمة أسباب نقشي هذا الوباء، كما أن ظاهرة الاتصال الجنسي بين الرجال والنساء والتي لا يضبطها ضابط تعد سبباً رئيسياً وراء ولادة الأطفال المصابين بالإيدز. 2.
-دعت الشريعة الإسلامية إلى التكاثر، وبينت وسيلته الصحيحة التي لا يوجد إلا بها فقال صلى الله عليه وسلم " يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ.." 3

عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ 4 قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنِّي أَصَبْتُ امْرَأَةً دَاتَ حَسَبٍ وَمَنْصِبٍ إِلَّا أَنَّهَا لَا تَلِدُ أَفَأَتَزَوَّجُهَا فَهِيَ تَلِدُ ثُمَّ أَنَا الثَّانِيَةُ فَهِيَ تَلِدُ ثُمَّ أَنَا الثَّلَاثَةُ فَهِيَ تَلِدُ فَقَالَ: "تَزَوَّجُوا الْوُلُودَ الْوُدُودَ فَإِنِّي مُكَاتِرٌ بِكُمْ" 5

1 - البيان العدد 2ص 84 صفر 1407-1986م

2 - (البيان) العدد (13) ص 97/ 1408-1988.

3 - أخرجه البخاري في صحيحه/كتاب النكاح/باب قول النبي صلى الله عليه وسلم من استطاع منكم الباءة فليتزوج لأنه أغض للبصر وأحصن للفرج وهل يتزوج من لا أرب له/رقم(5065)، صحيح مسلم/كتاب النكاح/باب استحباب النكاح لمن تافت نفسه إليه ووجد مؤنة اشتغال من عجز عن المؤمن بالصوم/رقم(1400)، سنن الترمذي/كتاب النكاح/باب ما جاء في فضل التزويج والحث عليه/رقم(1081)، سنن أبو داود/كتاب النكاح/باب التحريض على النكاح/رقم(2046) وغيرهم. عن ابن مسعود

4 - معقل بن يسار المزني صحابي ممن بايع تحت الشجرة وكنيته أبو علي على المشهور وهو الذي ينسب إليه نهر معقل بالبصرة مات بعد الستين(الإصابة ج6ص184، تقريب التهذيب ج1ص540)

5 - أخرجه أبو داود في سننه/كتاب النكاح/باب النهي عن تزويج من لم يلد من النساء/رقم(2050)، سنن النسائي/كتاب النكاح/باب كراهية تزويج العقيم/رقم(3229) صححه الألباني.

فالشباب عندما يعلم بأن باب الفاحشة مغلق، وينتظره العقاب الأليم إذا فتح هذا الباب؛ فإنه لا يجد بدأً من إكمال نصف دينه بالزواج، بخلاف ما لو كان باب الفاحشة مفتوحاً فإنه لا يحمل نفسه تكاليف الزواج، وتربية الأولاد مادام قادراً على قضاء شهوته بدون مقابل.

يقول بيبري جلموت: ومع هذا فإن الزيادة في عدد المواليد غير الشرعيين لا تبدو أنها كافية لتعويض النقص الذي حصل في عدد المواليد بسبب الانخفاض في حالات الزواج¹.

المبحث الثاني: موانع إقامة حد الزنى. انعدام التكليف .

لا خلاف بين أهل العلم في أن الصبي والمجنون لا يقام عليهما الحد²؛ لحديث عليّ أنّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ عَنْ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ وَعَنْ الصَّبِيِّ حَتَّى يَشِبَّ وَعَنْ الْمَعْتُوهِ حَتَّى يَعْقِلَ"³ ولأن فعلهما لا يوصف بالحرمة فلا يكون الوطء منهما زنى.

وروى أبو داود⁴ بإسناده قال: أتني عمر بمجنونة قد زنت، فاستشار فيها أناساً، فأمر بها عمر أن ترجم، فمر بها علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: ما شأن هذه؟ قالوا مجنونة آل فلان زنت، فأمر بها عمر أن ترجم. فقال: ارجعوا بها. ثم أتاه فقال: يا أمير المؤمنين، أما علمت أن القلم قد رفع عن ثلاثة؛ عن المجنون حتى يبرأ، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يعقل؟ قال: بلى. قال: فما بال هذه؟ قال: لا شيء. قال: فأرسلها. قال: فأرسلها. قال: فجعل عمر يكبر⁵.

ومما سبق يتبين لنا بأن عدم التكليف مانع من موانع إقامة حد الزنا. والله أعلم.
الجهل.

1- التدابير الوقائية من الزنا ص72.

2- المغني ج12 ص357 بدائع الصنائع ج5 ص487 ، مغني المحتاج ج5 ص460 الفواكه الدواني ج2 ص339 ، المهذب ج5 ص379.

3- أخرجه الترمذي في سننه/كتاب الحدود/باب ما جاء فيمن لا يجب عليه الحد/رقم(1423)، مسند أحمد مسند علي بن أبي طالب ج1، ص251، رقم (956)، سنن ابن ماجه/كتاب الطلاق/باب طلاق المعتوه والصغير والنائم/رقم(2042)، سنن النسائي/كتاب الطلاق/باب من لا يقع طلاقه من الأزواج/رقم(3434)، سنن أبو داود/كتاب الحدود/باب في المجنون يسرق أو يصيب حداً/رقم(4403) صححه الشيخ الألباني.

4- أبو داود : سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السخستاني صاحب السنن والتصانيف المشهورة توفي في شوال سنة 275 بالبصرة وله بضع وسبعون سنة.(شذرات الذهب ج3، ص313).

5- أخرجه أبو داود في سننه/كتاب الحدود/باب في المجنون يسرق أو يصيب حداً/رقم(4399)، مسند أحمد/كتاب مسند العشرة المبشرين بالجنة/باب من مسند علي بن أبي طالب/رقم(1330)، المستدرک/ كتاب الحدود/ ج4 ص430(8169) صححه الشيخ الألباني.

الجهل إما أن يكون بالحكم ممن يمكن منه الجهل، مثل حديث العهد بالإسلام، أو ممن عاش في البادية، ولم يتيسر له العلم بالحل أو الحرمة، فهؤلاء يعذرون عند كافته أهل العلم¹.

وإما أن يكون الجهل بالعقوبة أو الحد فهذا لا يعذر به؛ لأنه إن كان عالماً بالحرمة فقد انتهك حدود الله تعالى.

وسواء علم العقوبة، أو لم يعلمها فهو منهي عن تعدي حدود الله تعالى قال تعالى: {تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا} ²

قال ابن قدامه في المغني³:

(ولا حد على من لم يعلم تحريم الزنا).

قاله عمر و عثمان وعلي لا حد إلا على من علمه. وبهذا قال عامة أهل العلم. فإن ادعى الزاني الجهل بالتحريم، وكان يحتمل أن يجهله، كحديث العهد بالإسلام، والناسي ببادية، قبل منه؛ لأنه يجوز أن يكون صادقاً، وإن كان ممن لا يخفى عليه ذلك، كالمسلم الناشئ بين المسلمين، وأهل العلم، لم يقبل؛ لأن تحريم الزنا لا يخفى على من هو كذلك، فقد علم كذبه).

وفي حديث ماعز "أتدري ما الزنا قال: نعم أتيت منها حراماً ما يأتي الرجل من امرأته حلالاً"⁴ من هذا السؤال يتبين أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يريد أن يدرأ عنه الحد بالجهل بحقيقة الزنا إذ لو لم يكن مراد الرسول صلى الله عليه وسلم مفهوم المخالفة من الحديث لما سأله عن ذلك.

فيتبين لنا أن الجهل ممن يعذر به على ما بيناه مانع من موانع إقامة الحد على الزاني. والله أعلم .

الإكراه.

المسألة الأولى:

إكراه الرجل على الزنى للفقهاء في المسألة أقوال :

القول الأول :

إذا أكره الرجل على الزنا فلا حد عليه عند الشافعية في الأظهر، وهو المختار عند خليل من المالكية، وبه قال الأحناف، ورجحه ابن قدامه في المغني⁵.

¹ - المغني ج 12 ص 345 ، مغني المحتاج ج 5 ص 460 ، المهذب ج 5 ، ص 380.

² - سورة البقرة آية (229).

³ - المغني ج 12 ص 345.

⁴ - أخرجه ابن حبان في صحيحه/ كتاب الحدود، ذكر البيان أن المصطفى صلى الله عليه وسلم رد ماعز في المدار الأربع وأمر به فطرد ج 10، ص 246 (4400)، سنن الدارقطني/ كتاب الحدود والديات وغيرها / ج 3 ص 196 رقم (339)، فتح الباري ج 12 ص 124 (أحمد بن حجر العسقلاني- دار المعرفة- بيروت- 1379-13 جزء).

⁵ - المغني ج 12 ص 218 ، الفواكه الدواني ج 2 ص 343 ، بدائع الصنائع ج 5 ص 488 ، مغني المحتاج ج 5 ص 458 ، المهذب ج 5 ، ص 379.

قال الشيرازي¹: (وهل يجب على الرجل إذا أكره على الزنا؟ فيها وجهان: أحدهما : وهو المذهب أنه لا يجب عليه)².
القول الثاني : إذا أكره الرجل على الزنا فعليه الحد. وهو قول الحنابلة، وقول عند الشافعية، والمذهب عند المالكية³.
القول الثالث : إذا أكرهه السلطان فلا حد عليه، وإن أكرهه غيره حد استحسانا. وبه قال أبو حنيفة⁴.

الأدلة: أدل القول الأول :

استدل القائلون بعدم الحد على المُكره بالآتي:

- قوله صلى الله عليه وسلم: "رفع عن أمي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه"⁵. فالحديث نص في عدم المؤاخظة على المكره فإذا انتفت المؤاخظة سقط الحد.
- قوله صلى الله عليه وسلم "ادرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم"⁶. وجه الدلالة أن الإكراه أورت شبهة فمقتضى العمل بالحديث عدم إقامة الحد لوجود الشبهة وهي الإكراه.

أدلة القول الثاني: استدل القائلون بأن على الرجل الحد إذا أكره، بالمعقول وهو أن الوطء لا يكون إلا بالانتشار، والإكراه ينافيه، فإذا وجد الانتشار انتفى الإكراه فيلزمه الحد، كما لو أكره على غير الزنى فزنى.

أدلة القول الثالث : لا أعلم له دليلاً، إلا أن يقال إن إكراه السلطان ملجئ، وإكراه غير السلطان غير ملجئ .

مناقشة الأدلة والترجيح :

ما استدل به أصحاب القول الثاني بأن الوطء لا يكون إلا بالانتشار، والإكراه ينافيه غير مسلم لهم به؛ فالانتشار تقتضيه الطبيعة عند ملامسة الرجل للمرأة، فهي حركة لا شعورية لا يستطيع الإنسان التحكم فيها عند الملامسة .

¹ - إبراهيم بن علي بن يوسف الشافعي أحد الأعلام تفقه بشيراز وقدّم بغداد فاستوطنها، ولزم القاضي أبا الطيب إلى أن صار مُعيده في حلقته، وكان أنظر أهل زمانه، وأفصحهم وأورعهم، وأنتهت إليه رئاسة المذهب في الدنيا توفي سنة 476هـ (شذرات الذهب ج5 ص323، سير أعلام النبلاء ج18 ص453)

² - مغني المحتاج ج5، ص379.

³ - المغني ج12 ص218 (د) الفواكه الدواني ج2 ص343 ، مغني المحتاج ج 5 ص458.

⁴ - المغني ج12 ص182

⁵ - أخرجه ابن ماجة/كتاب الطلاق/باب طلاق المكره والناسي/رقم(2045)، صحيح ابن حبان/كتاب أخباره صلى الله عليه وسلم عن مناقب الصحابة ذكر الأخبار عما وضع الله بفضله عن هذه الأمة/ج16 ص202/ رقم(7219)، المستدرک/ كتاب الطلاق/ج2، ص216/رقم(2801) صححه الشيخ الألباني.

⁶ - أخرجه الترمذي/كتاب الحدود/باب ما جاء في درء الحدود/رقم(1424)، سنن الدارقطني/ كتاب الحدود والديات وغيره/ ج3 ص84/رقم (8) ضعفه الشيخ الألباني.

قال الشربيني¹ (ومأخذ الخلاف التردد في تصوير الإكراه في الزنا، والصحيح تصويره لأن الانتشار تقتضيه الطبيعية عند الملامسة)².
وأما استدلال أصحاب القول الثالث فهو مردود عليهم لأن الإكراه الملجئ قد يكون من السلطان ومن غيره.
وعليه نرى والله أعلم أن القول الأول وهو قول من قال بسقوط الحد عن المكره هو الصواب للآتي :

1- لما روي عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه"³.

2- ولأن الإكراه يورث شبهة والحدود تدرأ بالشبهات والإكراه من أعظم الشبهات. والله أعلم.

المسألة الثانية: إكراه المرأة هل على المرأة حد إذا أكرهت؟

لا حد على المرأة إذا هي أكرهت، نقل الاتفاق على ذلك صاحب مغني المحتاج وقال ابن قدامة في المغني:

(ولا حد علي مكرهة، في قول عامة أهل العلم، روي ذلك عن عمر، والزهرري⁴، وقتادة⁵، والثوري، والشافعي، وأصحاب الرأي، ولا نعلم فيه مخالفاً؛ وذلك لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عفي لأمتي عن الخطأ، والنسيان، وما استكرهوا عليه"⁷)

وبهذا يتبين أن الإكراه مسقط من مسقطات حد الزنى. والله أعلم.
-الوطء في الدبر- اللواط-

يراد باللواط إتيان الرجل الرجل في دبره، أو إتيان المرأة في دبرها، وهو فعل قبيح أجمع المسلمون على تحريمه.

¹ - الشربيني: محمد بن محمد الشربيني القاهري الشافعي الخطيب الإمام العلامة، أجمع أهل مصر على صلاحه، ووصفوه بالعلم والعمل والزهد والورع، وكثرة النسك والعبادة شرح كتاب المنهاج والتنبيه توفي بعد عصر يوم الخميس ثاني شعبان سنة سبع وسبعين وتسعمائة. (شذرات الذهب ج10 ص561-562).

² -مغني المحتاج ج5، ص458.
³ -أخرجه ابن ماجة/كتاب الطلاق/باب طلاق المكره والناسي/رقم(2045)، صحيح ابن حبان/كتاب أخباره صلى الله عليه وسلم عن مناقب الصحابة ذكر الأخبار عما وضع الله بفضلة عن هذه الأمة/ج16 ص202/ رقم(7219)، المستدرک/ كتاب الطلاق/ ج2، ص216/ رقم(2801) صححه الشيخ الألباني.

⁴ - الزهري: محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب القرشي الزهري وكنيته أبو بكر الفقيه الحافظ، متفق على جلالته وإتقانه، مات سنة أربع وعشرين ومائة (تذكرة الحفاظ ج1 ص108)

⁵ -قتادة بن دعامة بن قتيادة بن عزيز الحافظ العلامة أبو الخطاب السدوسي البصري الضرير الأكمه المفسر قال أحمد بن حنبل قتيادة عالم بالتفسير وباختلاف العلماء ووصفه بالحفظ والفقه وأطنب في ذكره وقال قل من تجد أن يتقدمه مات بواسط في الطاعون سنة ثمان مائة ومائة (تذكرة الحفاظ ج1 ص122)

⁶ - المغني ج12 ص216، مغني المحتاج ج5 ص458

⁷ -سبق تخريجه.

وهذا العمل من أعظم الجرائم وأقبحها ،ولذلك كانت عقوبة القوم الذين ابتدعوها-
{ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ }¹-أعظم عقوبة وهي أن الله تعالى أمر بتلك القرية فجعل عاليها سافلها، وأمطر عليها حجارة من السماء.

قال تعالى { فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ * مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ }²

المسألة الأولى: في اللواط إذا كان المفعول به ذكرا، أو أنثى أجنبية.

لقد اختلفت آراء أهل العلم في المسألة إلى أربعة أقوال وهي:

القول الأول: أنه يقتل الفاعل والمفعول به مطلقا، سواء كانا محصنين أو غير محصنين. وهو رواية عند الحنابلة، وقول عند الشافعية، والراجح من مذهب المالكية.³

القول الثاني: إن الواجب هو حد الزنى فللمحصن الرجم ولغير المحصن الجلد. وهو المشهور من مذهب الشافعي، والرواية الثانية عند أحمد، وبه قال أبو يوسف ومحمد بن الحسن، وعند المالكية إذا كان المفعول به امرأة أجنبية حد للزنى.⁴

القول الثالث: إن اللواط ليس فيه عقوبة محددة وإنما فيه التعزير حسب اجتهاد الأمام. وبه قال أبو حنيفة، ورواية عند الشافعية.⁵

القول الرابع: إذا كان المفعول به مكلفا مختاراً جلد وغرب محصنا كان أو غيره، سواء أكان رجلا أو امرأة، وهو قول ذكره صاحب مغني المحتاج من الشافعية.⁶

الأدلة: أدلة القول الأول:

استدل أصحاب القول الأول بالسنة، والإجماع، والمعقول .

أما السنة: -فقولة صلى الله عليه وسلم"من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به"⁷

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "الذي يعمل عمل قوم لوط فارجموا الأعلى والأسفل"⁸

1-سورة الأعراف آية(80).

2-سورة هود الآية82،83.

3- المغني ج12ص349، مغني المحتاج ج5ص457، الفواكه ج2ص343 عقوبة الإعدام ص549 .

4-المغني ج12ص349، منتهى الإرادات ج5،ص122، مغني المحتاج ج5ص457، المهذب في فقه الإمام الشافعي

ج5،ص383، الفواكه ج2ص343، قفو الأثر في شرح بلوغ المرام بكلام ابن حجر ج4،ص1503.

5- بدائع الصنائع ج5ص487، مغني المحتاج ج5ص457 .

6- مغني المحتاج ج5ص457 .

7- أخرجه الترمذي في السنن/كتاب الحدود/باب ما جاء في حد اللوطي/رقم(1456)، سنن أبو داود/كتاب الحدود/باب فيمن عمل عمل

قوم لوط/رقم(4462)، سنن ابن ماجة/كتاب الحدود/باب من عمل عمل قوم لوط/رقم(2561)، مسند أحمد/ مسند عبد الله بن

العباس/ج1،ص644، رقم(2732)، السنن الكبرى للبيهقي/كتاب الحدود/باب ما جاء في حد اللوطي ج8،ص403، رقم (17019)

صحيح الجامع رقم(6588) صححه الشيخ الألباني.

8- أخرجه ابن ماجة/كتاب الحدود/باب من عمل عمل قوم لوط/رقم (2562) حسنه الشيخ الألباني في سنن ابن ماجة.

فمن الحديثين بين النبي صلى الله عليه وسلم أن عقوبة من يقترب هذه الجريمة هي الرجم، ولم يفرق بين المحصن وغيره، فدل على أن العقوبة هي الرجم للمحصن وغير المحصن.

أما الإجماع :- فقد نقل الإجماع ابن قدامه في المغني¹ حيث قال : (ولأنه إجماع الصحابة رضي الله عنهم، فإنهم أجمعوا على قتله وإنما اختلفوا في صفته، وذلك في قصة خالد بن الوليد حيث وجد في بعض ضواحي العرب رجلاً يُنكح كما تُنكح المرأة، فكتب إلى أبي بكر، فاستشار أبو بكر الصحابة فيه فكان علي أشدهم قولاً فيه فقال: ما فعل هذا إلا أمة من الأمم واحدة، وقد علمتم ما فعل الله بها أرى أن يحرق بالنار فكتب أبو بكر: إلى خالد بذلك فحرقه)².

وأما المعقول: فهو أن القول بقتل اللوطي مطلقاً يتمشى مع قواعد الشرع فإن المحرمات كلما تغلظت تغلظت عقوبتها، ووطء من لا يباح بحال أعظم جرماً من وطء من يباح في بعض الأحوال فينبغي أن تكون عقوبته أعظم.³

أدلة القول لثاني: وهم القائلون بأن حد اللوطي حد الزنى فقد استدلوا بالكتاب والسنة وعمل الصحابة والمعقول .

أما الكتاب: فقول الله تعالى: { وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً }⁴

وقوله تعالى في شأن قوم لوط (أتأتون الفاحشة)⁵ فسمى اللواط فاحشة والزنا فاحشة فدل على أنهما متساويان في الحكم تساويهما في الاسم.

فيكون الحكم الرجم إن كان محصناً والجلد إن كان غير محصن.

وأما السنة : فقولته صلى الله عليه وسلم "إذا أتى الرجل الرجل فهما زانيان"⁶

وجه الدلالة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمي اللوطي زاني، والزاني معلوم حكمه، وهو الرجم للمحصن والجلد لغير المحصن.

وإذا ثبت كونه زنا دخل في عموم الآية والأخبار التي في الزنا.

وأما عمل الصحابة فأثران:- أحدهما:

ما ورد أن عثمان بن عفان رضي الله عنه أتى برجل قد فجر بـغلام من قريش معروف النسب فقال عثمان: ويحكم! أين الشهود؟ أحصن؟ قالوا تزوج بأمرأة ولم يدخل بها

1 - المغني ج12 ص221

2 - أخرجه البيهقي في السنن الكبرى/ كتاب الحدود/ باب ما جاء في حد اللوطي/ ج8 ص405، رقم (17028)، نصب الرأية ج3 ص342.

3 - زاد المعاد ج5 ص41.

4 - سورة الإسراء آية(32).

5 - سورة الأعراف آية(80).

6 - قال في التلخيص ج4 ص55، رقم (1752) البيهقي في السنن الكبرى /كتاب الحدود ،باب ما جاء في حد اللوطي، ج8 ص406 رقم(17032) ،من حديث أبي موسى وفيه محمد بن عبد الرحمن القشيري كذبه أبو حاتم ورواه أبو الفتح الأزدي في الضعفاء والطبراني في الكبير من وجه آخر عن أبي موسى وفيه بشر بن الفضل البجلي وهو مجهول وقد أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده عنه، انظر ضعيف الجامع(282).

بعد، فقال علي لعثمان رضي الله عنهما: لو دخل بها لحل عليه الرجم، فأما إذا لم يدخل بها فاجلده الحد، فقال أبو أيوب¹: أشهد أنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الذي ذكر أبو الحسن، فأمر به عثمان فجلد مائة².
قال الهيثمي³: وفيه جابر الجعفي⁴ وقد صرح بالسماع وفيه من لم أعرفه⁵.
فقد دل الأثر على أن عقوبة اللوطي عقوبة الزاني يرمم إن كان محصناً، ويجلد إن كان غير محصن.

ثانيهما: ما ورد عن عطاء بن أبي رباح⁶ قال: أتى ابن الزبير بسبعة في لواط، أربعة منهم قد أحصنوا، وثلاثة لم يحصنوا، فأمر بالأربعة فرضخوا بالحجارة، وأمر بالثلاثة فضربوا الحد، وابن عباس وابن عمر في المسجد⁷.
وأما المعقول: فلأنه إيلاج في فرج آدمي لا ملك له فيه ولا شبهة ملك فكان زنى كالإيلاج في فرج المرأة. إذا ثبت كونه زنى دخل في عموم الآية والأخبار فيه؛ لأنه فاحشة فكان زنا كالفاحشة بين الرجل والمرأة⁸.
أدلة القول الثالث: وهم القائلون بعدم وجود عقوبة محددة لجريمة اللواط، وإنما فيها التعزير، وهؤلاء استدلوا بالمعقول وهو:

• أن اللواط ليس بزنى لأن تعريف الزنى: هو اسم للوطء في قبل المرأة بخلاف اللواط، واختلاف الأسماء دليل على اختلاف المعاني.
لهذا اختلف الصحابة رضي الله عنهم في حد هذا الفعل. ولو كان هذا زنى لم يكن لاختلافهم معنى؛ لأن موجب الزنى كان معلوماً لهم بالنص فثبت أنه ليس بزنى ولا في معنى الزنى أيضاً لما في الزنى من اشتباه الأنساب وتضييع الولد ولم يوجد ذلك في هذا الفعل.

• وكذا ليس في معناه فيما شرع له الحد وهو الزجر؛ لأن الحاجة إلى شرع الزاجر فيما يغلب وجوده ولا يغلب وجود هذا الفعل؛ لأن وجوده يتعلق باختيار شخصين ولا اختيار إلا لداع يدعو إليه ولا داعي في جانب المحل أصلاً. وفي الزنى وجد

1 - هو خالد بن زيد بن كليب الأنصاري أبو أيوب من كبار الصحابة شهد بدمراً ونزل النبي (ص) حين قدم المدينة عليه مات غزياً بالروم سنة خمسين وقيل بعدها. (تقريب التهذيب ج1 ص411).

2 - مجمع الزوائد/ باب ما جاء في اللواط/ ج6 ص272.

3 - الهيثمي: نور الدين أبو الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي الشافعي الحافظ ولد في رجب سنة خمس وثلاثين وسبعمان من تصانيفه مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، وكان هيناً ليناً، خيراً محباً لأهل الخير توفي بالقاهرة ليلة الثلاثاء تاسع عشر شهر رمضان ودفن خارج باب البرقوقية 807هـ. (شذرات الذهب ج9، ص105).

4 - هو جابر بن يزيد بن الحارث الجعفي الكوفي، اختلف في تضعيفه وتوثيقه، عامة ما قذفوه به أنه كان يؤمن بالرجعة روى عنه سفيان الثوري وابن عيينه وغيرهم مات سنة ثمان وعشرين ومائة. (تهذيب الكمال ج4، ص465 وما بعدها).

5 - مجمع الزوائد/ باب ما جاء في اللواط/ ج6 ص272.

6 - عطاء بن أبي رباح واسمه أسلم القرشي مولاهم أبو محمد المكي روى عن ابن عباس وابن عمرو وابن عمر نشأ بمكة وهو مولى لبني فهر أو الجمح وانتهت إليه فتوى أهل مكة وإلى مجاهد في زمانها وأكثر ذلك إلى عطاء وكان ثقة فقيها عالماً كثير الحديث وتوفي سنة أربع عشرة ومائة. (تهذيب التهذيب ج7، ص179، تهذيب الكمال ج20، ص69 وما بعدها).

7 - أخرجه البيهقي في السنن الكبرى /كتاب الحدود/ باب ما جاء في حد اللوطي/ ج8 ص405 رقم (17030).

8 - الشرح الكبير ج 12 ص 240 .

الداعي من الجانبين جميعاً وهو الشهوة المركبة فيهما جميعاً فلم يكن في معنى الزنى.¹

أدلة أصحاب القول الرابع: دليلهم أن المحل لا يتصور فيه إحسان، فمادام لا يتصور فيه إحسان فلا يقام عليه حد المحصن، ويكتفى فيه بحد غير المحصن.²

مناقشة الأدلة والترجيح .

مناقشة أدلة أصحاب القول الثاني:

- أما استدلالهم بقوله تعالى: { وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً }³ وقوله تعالى: { أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ }⁴ حيث سمي كلاً من الفعلين فاحشة، فدل ذلك على أن اللواط حكمه الزاني، فيجاء عنه بأنه لا يلزم من إطلاق لفظ الفاحشة عليه كما أطلق على الزاني أن يستويا في العقوبة، فإن الفاحشة لفظ عام يشمل كل ما فحش وعظم من الذنوب والمعاصي، ولذلك قال تعالى: { قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ }⁵ فأطلق لفظ الفواحش على كبائر الذنوب، ولو سلمنا لهم استدلالهم لوجب عليه أن يعاقب كل من ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب بعقوبة الزنى، على اعتبار أن الكبائر تسمى فواحش ولم يقل بهذا أحده.
- وأما استدلالهم بحديث: "إذا أتى الرجل الرجل فهما زانيان" فيجاء عليهم بأن الحديث ضعيف كما ذكر الحافظ ابن حجر في التلخيص⁷ فلا حجة لهم به.
- وأما استدلالهم بما روي عن عثمان رضي الله عنه فحديث ضعيف فيه جابر الجعفي قال الهيثمي: وفيه من لم أعرفه.⁸
- وأما استدلالهم بما نقل عن ابن الزبير فهذه الرواية فيها اليمان بن المغيرة منكر الحديث قال يحيى بن معين ليس بشيء.⁹
- وأما استدلالهم بالقياس، فيقال لهم من شروط القياس عدم وجود نص على حكم الفرع، وهنا قد وجد النص من حديث ابن عباس، وأبي هريرة رضي الله عنهم أجمعين.

1 - بدائع الصنائع ج5 ص487.

2 - مغنى المحتاج ج 5 ص 457 .

3 -سورة الإسراء آية(32).

4 -سورة الأعراف آية(80).

5 -سورة الأعراف آية(33).

6 - عقوبة الإعدام ص556.

7 -تلخيص الحبير ج4 ص55.

8 -مجمع الزوائد/ باب ما جاء في اللواط /ج6 ص272.

9 -المجروحين من المحدثين والضعفاء ج3 ص143 برقم(1250).

القول المختار: هو القول بأن عقوبة اللواط القتل مطلقاً، سواء كانا محصنين أو غير محصنين لصحة الحديث الوارد في حكم اللوطي وهو قوله صلى الله عليه وسلم "من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به"¹ وكذلك إجماع الصحابة على قتل اللوطي وإنما كان خلافهم في كيفية القتل. والله أعلم.

المسألة الثانية: إتيان الرجل زوجته أو مملوكته في دبرها.

جمهور أهل العلم على تحريم هذا الفعل، وذهب بعض أهل العلم إلى تعزيز من اقترف هذا الفعل وبعضهم شرط أن يتكرر منه الفعل حتى يوجب تعزيره.²

قال الشربيني: (أما وطء زوجته أو أمته في دبرها فالمذهب أن واجبه التعزير، إن تكرر منه الفعل ، فإن لم يتكرر فلا تعزير).³

الأدلة على التحريم: قوله صلى الله عليه وسلم "إن الله لا يستحي من الحق ثلاث مرا ت، لا تأتوا النساء في أدبارهن"⁴.

وقوله صلى الله عليه وسلم: " ملعون من أتى امرأته في دبرها"⁵ عدم صحة ما نقل عن بعض السلف في تجويز هذا العمل.

قال القرطبي:⁶ (وقد حرم الله تعالى الفرج حال الحيض لأجل النجاسة العارضة فأولى أن يحرم الدبر لأجل النجاسة اللازمة وقال مالك لابن وهب⁷ وعلي بن زياد لما أخبراه أن ناساً بمصر يتحدثون عنه أنه أجاز ذلك فنفر من ذلك وبادر إلى تكذيب الناقل فقال كذبوا علي كذبوا علي كذبوا علي ثم قال أستم قوما عرباً ألم يقل الله تعالى (نساؤكم حرث لكم) وهل يكون الحرث إلا في موضع المنبت وما استدلل به المخالف من أن قوله عز وجل أنى شئتم شامل للمسالك بحكم عمومها فلا حجة فيها إذ هي مخصصة بما ذكرناه وبأحاديث صحيحة حسان وشهيرة رواها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنا عشر صحابياً بمتون مختلفة كلها متواردة على تحريم إتيان النساء في الأدبار...قلت وهذا هو الحق المتبع والصحيح في المسألة ولا ينبغي لمؤمن بالله واليوم الآخر

1 - أخرجه الترمذي في السنن/كتاب الحدود/باب ما جاء في حد اللوطي/رقم(1456)، سنن أبو داود/كتاب الحدود/باب فيمن عمل عمل قوم لوط/رقم(4462)، سنن ابن ماجه/كتاب الحدود/باب من عمل عمل قوم لوط/رقم(2561)، مسند أحمد/ مسند عبد الله بن العباس/ج 1، ص644، رقم(2732)، صحيح الجامع رقم(6588) صححه الشيخ الألباني.

2 - المغني ج 12 ص 221 ، مغني المحتاج ج 5 ص 457، الفواكه الدواني ج 2 ص 343.

3 - مغني المحتاج ج 5، ص 457.

4 - أخرجه ابن ماجه/كتاب النكاح/باب النهي عن إتيان النساء في أدبارهن/رقم(1924)، أحمد/ مسند أبي هريرة/ ج 3، ص 451، رقم(9739)، سنن الدارمي/كتاب الطهارة/باب من أتى امرأته في دبرها/رقم(1144)، صحيح الجامع رقم(1852) صححه الشيخ الألباني.

5 - أخرجه أبو داود/كتاب النكاح/باب في جامع النكاح/رقم(2162)، مسند أحمد/كتاب باقي مسند المكثرين/باب مسند أبي هريرة/رقم(9440)، صحيح الجامع رقم(5889) حسنه الشيخ الألباني.

6 - القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي صاحب كتاب التذكرة بأمر الأخره، وكتاب التفسير الجامع لأحكام القرآن. كان إماماً عالماً من الغواصين على معاني الحديث، حسن التصنيف، جيد النقل، توفي سنة ست مائة وأحدى وسبعين للهجرة. (شذرات الذهب ج 7، ص 584).

7 - عبد الله بن وهب بن مسلم الامام الحافظ أبو محمد الفهري مولا هم المصري الفقيه أحد الأئمة الأعلام ولد سنة خمس وعشرين ومائة طلب العلم وله سبع عشرة سنة وكان ثقة حجة حافظاً مجتهداً لا يقلد أحداً ذا تعبد وتزهة مات في شعبان سنة سبع وتسعين ومائة (تذكرة الحفاظ ج 1 ص 304)

أن يعرج في هذه النازلة على زلة عالم بعد أن تصح عنه وقد حذرنا من زلة العالم وقد روي عن عنه وكذلك كذب نافع¹ من أخبر عنه بذلك كما ذكر النسائي² وقد تقدم وأنكر ذلك مالك واستعظمه وكذب من نسب ذلك إليه³ وطء المرأة الميتة. اختلف أهل العلم في المسألة إلى قولين هما:
القول الأول: على من أتى المرأة الميتة الحد. وهو قول المالكية، ورواية عند الحنابلة، وقول في المذهب الشافعي.⁴
القول الثاني: لا حد على من أتى المرأة الميتة، وهو الأصح عند الشافعية، وقول الأحناف، والقول الثاني عند الحنابلة.⁵
الأدلة: أدلة القول الأول :

أن هذا الوطء في فرج آدمية فأشبهه وطء الحية؛ ولأنه أعظم ذنباً وأكثر إثماً. فإذا ثبت أنها تشبه الحية فأدلة حد الزنى بالحية هي نفس الأدلة هنا.
أدلة القول الثاني: أن وطء الميتة كلا وطء؛ لأنه عضو مستهلك؛ ولأنها لا يشتهي مثلها، وتعافها النفس، فلا حاجة إلى شرع الزجر عنها، والحد إنما وجب زجراً.
مناقشة الأدلة والترجيح.

مناقشة أدلة القول الثاني:- أما قولهم بأن وطء الميتة كلا وطء فليس مسلم لهم به؛ لأن من أقدم على ذلك وهو الوطء يتلذذ بها، ويحصل له مثل ما يحصل لو أنه وطء حية. وأما قولكم أنها لا تشتهي وتعافها النفوس، فإن كنا نسلم لكم بهذا عند أهل العفة والنفوس الكريمة، ولكنه غير مسلم به عند أصحاب النفوس الدنيئة، والشرع جاء للردع والزجر خاصة لأصحاب النفوس الدنيئة، فإنه لا يقدم على الزنى إلا أصحاب النفوس الدنيئة؛ ولذلك شرع الحد لزجرهم.
فالحديث شرع لزجر أصحاب هذه النفوس، ومنهم من تسقط نفسه إلى مثل هذا النوع من الفاحشة، فحقها أن يعاقب عليها.

1 - نافع أبو عبد الله المدني مولى بن عمر ثقة ثبت فقيه مشهور من الثالثة مات سنة سبع عشره ومائة أو بعد ذلك (تقريب التهذيب ج1 ص559)

2 - النسائي : أحمد بن شعيب بن علي بن سنان أبو عبد الرحمن النسائي. القاضي الحافظ، صاحب كتاب السنن ، قال ابن يونس: قدم مصر قديماً وكتب بها وكتب عنه وكان إماماً في الحديث ثقة ثبتاً حافظاً وكان خروجه من مصر في ذي القعدة سنة 302، وتوفي بفلسطين يوم الإثنين لثلاث عشرة خلت من صفر سنة 303. (تهذيب التهذيب ج1، ص32).

3 - تفسير القرطبي ج3 ص94-95.

4 - المغنى ح12 ص208 ، مغنى المحتاج ج5 ص459 ، المهذب ج5، ص387، الفواكه الدواني ج2 ص336.

5 - المغنى ح12 ص208 ، بدائع الصنائع ج5 ص488، مغنى المحتاج ج5 ص459، المهذب ج5 ص387.

القول المختار: الذي يظهر والله أعلم أن الراجح هو قول من قال بعقوبة من ارتكب مثل هذا الفعل، لعموم الأدلة في حد الزاني، وزجر أله، وحماية لحق الميت؛ لأن حرمة الميت كحرمة الحي. والله أعلم.

وطء البهيمية: اتفق أهل العلم على تحريم إتيان البهائم وأن هذا العمل محرم وقد قال صلى الله عليه وسلم "ملعون من وقع على بهيمه"¹. وقوله صلى الله عليه وسلم "أربعة يصبحون في غضب الله ويمسون في سخط الله ومنهم الذي يأتي البهيمية"² ولقد ذكر أهل العلم في المسألة ثلاثة أقوال :

القول الأول: أن عقوبته تعزيره ولا حد عليه وهو الأظهر عند الشافعية ورواية عن أحمد وقول الأحناف، والمشهور عند المالكية.³

القول الثاني: أن عقوبته عقوبة الزاني فيرجم إن أحسن ويجلد إن لم يحسن وهو قول عند الشافعية ورواية عند الحنابلة وقول عند المالكية.⁴

القول الثالث: عقوبته القتل مطلقاً أحسن أو لم يحسن وبه قال أبو سلمة بن عبد الرحمن⁵ وقول للشافعية ورواية عند الحنابلة.⁶

الأدلة: أدلة القول الأول: روى عن سيدنا عمر رضي الله عنه أنه قال: ليس على من أتى بهيمة حد.⁷

- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ مَنْ أَتَى بِهَيْمَةً فَلَا حَدَّ. والحديث له حكم الرفع لأنه مما لا يقال بالاجتهاد وإذ لم يكن عليه حد فتكون عقوبته تعزيرية.
- إنه لم يصح في ذلك نص ولا يصح قياسه على الوطء في فرج الأدمي؛ لأنه لا حرمة لها.
- أن هذا العمل ليس بمقصود والنفوس تعافه، فلا يحتاج في الزجر عنه إلى حد فيبقى على الأصل في انتقاء الحد.⁹

1- أخرجه أحمد في المسند/ مسند عبد الله بن العباس /ج1، ص467، رقم(1875) وصحح الحديث الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم(5891).

2- مجمع الزوائد/ باب ما جاء في اللواط ج6 ص273، 272، المعجم الأوسط ج7 ص64، رقم(6858).

3- المغني ج12 ص223، بدائع الصنائع ج5 ص488، منتهى الإرادات/ج5، ص123، مغني المحتاج ج5 ص459.

4- مغني المحتاج ج5 ص459، المغني ج12 ص223، عقوبة الإعدام ص564، المهذب ج5، ص385.

5- أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف القرشي الزهري قيل أسمه عبد الله وقيل إسماعيل، كان فقيهاً كثير الحديث، توفي سنة أربع وتسعين وقيل سنة أربع ومائة وقيل غير ذلك. (تهذيب الكمال ج33، ص370 وما بعدها).

6- المغني ج12 ص223، المهذب ج5، ص385، مغني المحتاج ج5 ص459، عقوبة الإعدام ص564.

7- أخرجه ابن أبي شيببة في المصنف ج5 ص508 رقم(28498).

8- أخرجه الترمذي/كتاب الحدود/باب ما جاء فيمن وقع على البهيمية/ رقم(1455)، سنن أبو داود/كتاب الحدود/باب فيمن أتى بهيمة/ رقم(4465)، البيهقي في السنن الكبرى/كتاب الحدود/باب من أتى بهيمة/ج8 ص407، رقم(17038)، النسائي في السنن الكبرى/كتاب أبواب التعزيرات والشهود/باب من وقع على بهيمة/ج4 ص322، رقم(7341) حسنه الشيخ الألباني.

9- المغني ج12 ص223.

أدلة القول الثاني : ما ورد عن عكرمة رحمه الله تعالى قال: سئل الحسن بن علي¹ عن رجل أتى بهيمة فقال: إن كان محصنا رجم.² ففتواه رضي الله عنه لا تصدر إلا عن علم أن الحكم الشرعي في هذه المسألة هو الرجم، وقس عليه حكم غير المحصن. القياس على الزنى بجامع أن كل منهما وطء في فرج محرم شرعاً، مشتهى طبعاً، فيعطى حكمه، وتثبت له عقوبته .

أدلة القول الثالث: وهم الذين قالوا بأن عقوبته القتل، أحصن أو لم يحصن، استدلوا بأدلة منها:

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من أتى بهيمة فاقتلوه واقتلوا معها ، قيل لابن عباس ما شأن البهيمة؟ قال : ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك شيء ، ولكن أراه كره أن يؤكل لحمها أو ينتفع بها وقد فعل بها ذلك"³ وفي رواية عند الحاكم⁴ عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال "من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به، ومن وجدتموه يأتي بهيمة فاقتلوه واقتلوا البهيمة معه " وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وجه الدلالة من الحديث الأمر بقتل من يأتي البهيمة، ولم يخص المحصن من غيره، فدل على أنها عقوبة المحصن وغير المحصن لعدم المخصص. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من وقع على بهيمة فاقتلوه واقتلوا معها"⁵.

القول المختار: من خلال النظر في أدلة كل فريق نجد أن القول الثالث يستند إلى أحاديث صحيحة صريحة ، لا تقوى الآثار التي استدل بها أصحاب القول الأول والثاني لمناهضة تلك الأحاديث الصحيحة الصريحة. فيكون الراجح هو القول بقتل من أتى البهيمة أحصن أو لم يحصن. والله أعلم.

دار الحرب أو البغي : هل دار الحرب والبغي مانع من موانع إقامة حد الزنى على الزاني؟

1 - الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي سبط رسول الله (ص) وريحانته وقد صحبه وحفظ عنه مات شهيداً بالسنة تسعة وأربعين وهو ابن سبع وأربعين وقيل بل مات سنة خمسين وقيل بعدها. (تقريب التهذيب ج 1 ص 162).

2 - أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ج 5 ص 513 رقم (28510)

3 - أخرجه الترمذي/كتاب الحدود/باب ما جاء فيمن يقع على البهيمة/رقم (1455)، سنن أبو داود/كتاب الحدود/باب فيمن أتى بهيمة/رقم (4464)، سنن ابن ماجه/كتاب الحدود/باب من أتى ذات محرم ومن أتى بهيمة/رقم (2564)، السنن الكبرى للبيهقي/كتاب الحدود/باب من أتى بهيمة/ج 8، ص 406/رقم (17035) ، صحيح الجامع رقم (6588) صححه الشيخ الألباني.

4 - أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين ج 4 ص 395 رقم (8047).

5 - مسند أبي يعلى ج 10 ص 389، قال الشيخ حسين أسد إسناده صحيح.

للجواب على هذا السؤال فقد اطلعت على قول للإمام أبي حنيفة وهو أن الزنى في دار الحرب لا يوجب الحد، ويعلل ذلك بأن الزنى لم ينعقد سبباً لوجوب الحد حين وجوده لعدم الولاية فلا يستوفى بعد ذلك.¹

وسكوت جمهور الفقهاء عن ذكر دار الحرب أو البغي في الشبهة المانعة من إقامة الحد يدل على أنهم يرون إقامة الحد وإن وجد الفعل في دار الحرب، أو البغي، ويدل على ذلك أنهم تكلموا على هل يقام الحد في دار الحرب أم لا؟ فذكر الشافعية أنه يقام الحد في دار الحرب إن لم يخف فتنة في نحو ردة المحدود والتحاqqه بدار الحرب.² والحنابلة يرون عدم تطبيق الحد في أرض الحرب، ولكن إذا رجع إلى دار الإسلام أقيم عليه الحد.

قال ابن النجار³: (وإذا أتى غاز حداً أو قوداً بأرض العدو، لم يؤخذ به حتى يرجع إلى دار الإسلام).⁴

القول المختار: الذي يترجح عندي أن دار الحرب لا يكون مانعاً من موانع إقامة الحد للآتي:

إن النصوص في إقامة الحد عامة ولم تفرق بين دار و دار. إن المسلم مطالب بالالتزام بأحكام الشرع في كل مكان. إن في ترك إقامة الحد على الزاني إذا باشره في دار الحرب مفسدة كبرى، وفيه تشجيع لمرضى النفوس على السفر إلى ديار الكفر لتلبية شهواتهم الحيوانية، ويؤدي ذلك إلى تأثرهم بأخلاق الكفار ونقلها إلى ديار الإسلام، كما نشاهده من بعض من عاش في ديار الكفر. والله اعلم.

المبحث الثالث: مسقطات حد الزنى.

رجوع الشهود على الزنا عن الشهادة أو أحدهم.

إذا رجع الشهود أو واحد منهم عن الشهادة فإنه يسقط الحد عن المشهود عليه.⁵ قال تعالى: {والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة}.⁶ فإذا رجع الشهود أو أحدهم لم تكتمل الشهادة على المتهم بالزنى فيسقط الحد عنه. والله أعلم.

سقوط الحد بفوات المحل (الموت) .

1 - بدائع الصنائع ج5 ص488 .

2 - مغني المحتاج ج5 ص0466

3 - هو الإمام العلامة تقي الدين محمد بن أحمد بن شهاب الدين صاحب منتهى الإرادات توفي سنة 979هـ (شذرات الذهب ج10 ص571)

4 - منتهى الإرادات ج5 ص119.

5 - المغني ج12 ص247، منتهى الإرادات ج5 ص128، الفواكه الدواني ج2 ص338 ، مغني المحتاج ج5 ص466.

6 - سورة النور آية(4)

من خصائص الحدود أنها لا تورث، وعقوباتها شخصية قال تعالى: {ولا تزر وازرة وزر أخرى} ¹ فإذا مات من وجب عليه الحد قبل تنفيذ الحد فإنه يسقط الحد بموته؛ لفوات محل إقامة الحد. والله أعلم.

الشبهة.

قال العلامة القرافي ² في الفروق: الشبهات ثلاثة: شبهة في الوطاء، وشبهة في الموطوءة، وشبهة في الطريق.

فالشبهة الأولى: تعم الحدود والكفارات، ومثالها اعتقاد أن هذه الأجنبية امرأته، أو مملوكته، أو نحو ذلك.

ومثال شبهة الموطوءة الأمة المشتركة إذا وطئها أحد الشريكين فما فيها من نصيبه يقتضي عدم الحد، وما فيها من ملك غيره يقتضي الحد، فيحصل الاشتباه وهي عين الشبهة، كما أن اعتقاد الأولى الذي هو جهل مركب وغير مطابق يقتضي عدم الحد من حيث أنه معتقد الإباحة وعدم المطابقة في اعتقاده يقتضي الحد فحصلت الشبهة من الشبهتين.

ومثال الثالث اختلاف العلماء في إباحة الموطوءة كنكاح المتعة ونحوه، فإن قول المحرم يقتضي الحد، وقول المبيح يقتضي عدم الحد، فحصلت الشبهة من الشبهتين فهذه الثلاثة هي ضابط الشبهة المعتبرة في إسقاط الحدود. ³

وقال الشربيني: (الشبهات ثلاثة أقسام: شبهة فاعل كأن يكون جاهلاً، وشبهة محل كظن أنها زوجته، وشبهة جهة كالنكاح بلا ولي) ⁴. فكأن شبهة الفاعل عند الشربيني هي شبهة الموطوءة عند القرافي، وشبهة المحل هي شبهة الوطاء، وشبهة الجهة هي شبهة الطريق. فمن وجدت عنده إحدى هذه الشبه سقط عنه الحد. والله أعلم.

تغير الشهادة مكاناً وزماناً.

المسألة الأولى: إذا شهد اثنان بالزنى في بيت، واثنان في بيت آخر، يسقط الحد. قال ابن قدامه في المغني:

(وإذا شهدا اثنان أنه زنى بها في هذا البيت، واثنان أنه زنى بها في بيت آخر، أو شهد كل اثنين عليه بالزنى في بلد غير البلد الذي شهد به صاحباهما، أو اختلفوا في اليوم

¹ سورة فاطر آية (18).

² - القرافي: أفضى القضاة محمد بن محمد القرافي المالكي خلفه الحكم بالديار المصرية كان إماماً علامة . توفي بالقاهرة يوم الثلاثاء ثالث عشر ذي القعدة سنة 912هـ (شذرات الذهب ج10 ص84)

³ - الفروق ج4 ص172.

⁴ - مغني المحتاج ج5 ص456.

فالجميع قذفة وعليهم الحد، وبهذا قال مالك، والشافعي، واختار أبو بكر أنه لا حد عليهم، وبه قال النخعي¹ وأبو ثور وأصحاب الرأي، لأنهم كملوا أربعة² أهـ² من كلام ابن قدامه يفهم أنه لا خلاف في أنه يسقط الحد إذا اختلف الشهود في المكان أو الزمان، وإنما الخلاف هل يسقط حد القذف أم لا؟ وهو ما سنتكلم عليه في موضوعه إن شاء الله تعالى.

فيكون اختلاف الشهود زماناً أو مكاناً مسقطاً للحد. والله أعلم.

المسألة الثانية:

إذا حملت امرأة لا زوج لها ولا سيد. فللعلماء في المسألة قولان:

القول الأول: يسقط عنها الحد إذا ادعت أنها أكرهت، أو وطئت بشبهة، أو لم تعترف بالزنى، وهو قول الجمهور: الشافعي، وأحمد، وأبو حنيفة.³

القول الثاني: عليها الحد، إلا أن تظهر أمارات الإكراه بأن تأتي مستغيثة، أو صارخة وبه قال مالك.⁴

الأدلة: أدلة القول الأول:

استدل القائلون بسقوط الحد عنها بأقوال الصحابة، وبالمعقول وبالقاعدة العامة في باب الحدود.

فمن أقوال الصحابة:

ما روي أن أبا موسى كتب إلى عمر في امرأة أتاها رجل وهي نائمة، فقالت: إن رجلاً أتاني وأنا نائمة، فوالله ما علمت حتى قذف في مثل شهاب النار فكتب عمر: تهامية تنوّمت، قد يكون مثل هذا وأمر أن يدرأ عنها الحد.⁵

عن عامر الشعبي⁶ قال حملت شراحة⁷ وكان زوجها غائباً فانطلق بها مولاها إلى علي فقال لها علي رضي الله تعالى عنه: لعل زوجك جاءك، أو لعل أحد استكرهك على نفسك. قالت لا. وأقرت بالزنى فجلدها علي رضي الله تعالى عنه يوم الخميس ورجمها يوم الجمعة.⁸

¹ - النخعي: هو أبو عمران إبراهيم بن يزيد النخعي، الإمام الجليل فقيه العراق بالإتفاق ومات وهو ابن ست وأربعين سنة توفي سنة 95. (شذرات الذهب ج1، ص387).

² - المغني ج12 ص248، مغني المحتاج ج5 ص469، الذخيرة لشهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي ت684هـ-1285م ج12 ص55 تحقيق الأستاذ محمد بوخيزه، الطبعة الأولى 1994م دار الغرب الإسلامي.

³ - المغني ج 12 ص260، مغني المحتاج ج 5 ص460.

⁴ - الفواكه الدواني ج2 ص340.

⁵ - أخرجه البيهقي في السنن الكبرى/كتاب الحدود/باب من زنى بامرأة مستكرهة/ ج8 ص410/رقم(17047)، مصنف عبد الرزاق/باب البكر والثيب تستكرهان/ ج7 ص410/رقم(13666).

⁶ - هو عامر بن شراحيل الشعبي أبو عمرو الكوفي ولد لست سنين من خلافة عمر بن الخطاب، فقيه حافظ قال مكحول: ما رأيت أفقه من الشعبي توفي سنة ثلاث أو أربع ومائة وسنة تسع وسبعون سنة. (تهذيب الكمال ج14، ص28 وما بعدها).

⁷ - شراحة الهمدانية شهدت على نفسها بالزنا عند علي رضي الله عنه فرجمها. (الإكمال ج5 ص49)

⁸ - أخرجه أحمد في المسند/ مسند علي ابن أبي طالب/ ج1 ص323 رقم(1316)، سنن البيهقي الكبرى/كتاب الحدود/باب من اعتبر حضور الإمام والشهود وبداية الإمام بالرجم إذا ثبت الزنى باعتراف المرجوم وبداية الشهود به إذا ثبت بشهادتهم/ ج8 ص384 رقم(16963)، نصب الرأية، كتاب الحدود/ ج3 ص319.

ومن المعقول: أن المرأة تحمل من غير وطء، بأن يدخل ماء الرجل في فرجها إما بفعلها أو فعل غيرها، وكذلك يمكن أن تكون قد وطئت بالإكراه، أو لشبهة، والحدود تدرأ بالشبهات.

أدلة القول الثاني: استدل القائلون بوجوب الحد بأقوال الصحابة وبالإجماع. **فمن أقوال الصحابة:** -قول عمر رضي الله عنه: وبالرجم واجب على كل من زنى من الرجال والنساء، إذا كان محصناً إذا قامت بينة، أو كان الحبل، أو الاعتراف¹. -روي عن عمر رضي الله تعالى عنه أنه أتى بامرأة قد ولدت لستة أشهر فهم برجمها فبلغ ذلك علياً رضي الله تعالى عنه فقال ليس عليها رجم، فبلغ ذلك عمر رضي الله تعالى عنه فأرسل إليه فسأله فقال: { وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمِّمَ الرِّضَاعَةَ }² وقال تعالى { وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا }³ فستة أشهر حملة حولين تمام لا حد عليها، أو قال: لا رجم عليها. قال: فخلى عنها ثم ولدت⁴. وهذا يدل على أنه كان يرميها بحملها.

-وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال: يا أيها الناس إن الزنى زنا إن زنى سر وزنى علانية، فزنى السر أن يشهد الشهود فيكون الشهود أول من يرمي، وزنى العلانية أن يظهر الحبل، أو الاعتراف فيكون الإمام أول من يرمي⁵. وهذا قول سادة الصحابة، ولم يظهر لهم في عصرهم مخالف فيكون إجماعاً.

مناقشة الأدلة والترجيح:

استدل الموجبون للحد بقول عمر وعلي رضي الله عنهما: (ما لم يكن الحبل) وهذا لفظ عام منهما رضي الله عنهما يخصصه فعلهما بدرء الحد عنها بالشبهة، حيث روي عن عمر أنه درأ عنها الحد بالشبهة، وكذلك علي قال لشراحة: لعل أحد استكرهك.. يلقنها الشبهة حتى يدرأ عنها الحد.

وأما ادعاء عدم المخالف لعمر وعلي رضي الله عنهما فبعيد، حيث وقد نقل عنهما خلاف ذلك، وذكرناه في أدلة المسقطين للحد عن المرأة الحامل إذا ادعت شبهة. فالذي يظهر لي أن الحد يسقط عنها إذا ادعت شبهة؛ لما نقلناه عن عمر وعلي رضي الله عنهما؛ ولأن ادعاءها للإكراه أو غيرها من الشبه شبهة، والحدود تدرأ بالشبهات. والله أعلم.

1 - أخرجه البخاري في صحيحه/كتاب المحاربيين من أهل الكفر والردة/باب الاعتراف بالزنى/رقم(4829)ص1207، صحيح مسلم/كتاب الحدود/باب رجم الثيب في الزنى/رقم(1690)ص651،650، سنن الترمذي/كتاب الحدود/باب ما جاء في تحقيق الرجم/رقم(1432)ص338، سنن أبو داود/كتاب الحدود/باب في الرجم/رقم(4418)ص659، صحيح ابن حبان ج2ص152رقم(414) وغيرهم.

2 -سورة البقرة آية(233).

3 -سورة الأحقاف آية(15).

4 -أخرجه البيهقي في سننه الكبرى/باب ما جاء في أقل الحمل/ ج7ص442 رقم15326.

5 -نصب الرأية/كتاب الحدود/ ج3ص320.

المسألة الثالثة: إذا شهد اثنان أنه زنى بها في زاوية البيت، وشهد اثنان آخران أنه زنى بها في زاوية أخرى يمكن تقسيم المسألة إلى صورتين:
الصورة الأولى: أن تكون الزاويتان متباعدين. فالقول فيهما كالقول في مسألة البيتين.¹
الصورة الثانية: أن تكون الزاويتان متقاربتين. ففي الصورة قولان لأهل العلم:
القول الأول: تكمل الشهادة ويقام عليه الحد، وبه قال الحنابلة، والحنفية.²
القول الثاني: لا يقام عليه الحد، وهو قول الشافعية، والمالكية.³
الأدلة: أدلة القول الأول:

قال ابن قدامه: (ولنا أنهما إذا تقاربتا أمكن صدق الشهود، بأن يكون ابتداء الفعل في أحدهما وتمامه في الأخرى، أو ينسبه كل اثنين إلى إحدى الزاويتين لقربه منها، فيجب قبول شهادتهما كما لو اتفقوا)⁴ أهـ

أدلة القول الثاني: أن الشهادة لم تكمل؛ ولأنهم اختلفوا في المكان فأشبه مالوا اختلفوا في البيتين. وهذه شبهة، والحدود تدرأ بالشبهات.

مناقشة الأدلة: قال أصحاب القول الثاني: أن ما ذكره أصحاب القول الأول من احتمال صدق الشهود إذا تقاربت الزاويتين هو دليل لنا على وجود الشبهة، والاتفاق قائم على درء الحدود بالشبهات وهذا منها.

فأجاب أصحاب القول الأول بأن هذا ليس بشبهة بدليل ما لو اتفقوا على موضع واحد، فإن هذا يحتمل فيه، والحد واجب.

الترجيح: عند إعمال النظر في أدلة كل فريق نجد أن ما قاله الموجبون للحد قوي من حيث المعقول، ولكن ما تمسك به مسقطو الحد أقوى، وهو المبدأ العام، درء الحدود بالشبهات.

فالقول بإسقاط الحد أولى من إثباته ولأن يخطئ الإنسان في العفو خير من أن يخطئ في العقاب.

عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ادروا الحدود عن المسلمين ما استطعتم فإن وجدتم للمسلمين مخرجا فخلوا سبيلهم فإن الإمام إن يخطئ في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة".⁵ **والله أعلم**

المسألة الرابعة: إذا شهد اثنان أنه زنا بها مكرهة وشهد اثنان أنه زنا بها مطاوعة .
نقل ابن قدامة الإجماع على سقوط الحد عنها؛ لأن الشهادة لم تكمل على فعل موجب للحد.⁶

1 - المغني ج12 ص249، الذخيرة الجزء الثاني عشر ص55

2 - المغني ج12 ص249، الذخيرة للقرافي ج12 ص55، منتهى الإرادات/ج5 ص127.

3 - المغني ج12 ص249، الذخيرة للقرافي ج12 ص55.

4 - المغني ج12 ص249، 250.

5 - أخرجه الترمذي/كتاب الحدود/باب ما جاء في درء الحدود/رقم(1424)، سنن الدارقطني/كتاب الحدود والديات وغيره

/ج3، ص84، رقم (8)، تاريخ بغداد ج5 ص331 برقم(2856) ضعفه الشيخ الألباني.

6 - المغني ج12 ص251 .

وأما الرجل ففيه قولان:

القول الأول: يسقط عنه الحد. وبه قال أكثر الحنابلة، واحد الوجهين عند الشافعية، وقول أبي حنيفة.¹

القول الثاني: يجب عليه الحد. واختاره أبو الخطاب²، وبه قال أبو يوسف ومحمد، ووجه ثان عند الشافعي.³

الأدلة

أدلة القول الأول: إن البينة لم تكمل على فعل واحد، فإن فعل المطاوعة غير فعل المكروهة، ولم يتم العدد على كل واحد من الفعلين؛ ولأن كل شاهدين منهما يكذبان الآخرين وذلك يمنع قبول الشهادة، أو يكون شبهة في درء الحد.

أدلة القول الثاني: قالوا بأن الشهادة قد كملت على وجود الزنا منه، واختلا فهما فقط في فعل المرأة، فلا يمنع كمال الشهادة عليه.

القول المختار: الذي يظهر لي بأن القول بوجود الحد على الرجل هو الراجح؛ لأن البينة قد كملت على وجود الزنى منه؛ ولأن الصورة ممكنة الحدوث، كأن يأتي اثنان في البداية

ويشاهدوا إكراهها، ويأتي اثنان في النهاية ويشاهدوا استسلامها إما لتعب، أو يأس من المقاومة، فيشهد كل بما شاهد. والله أعلم.

المسألة الخامسة:

من زنى بامرأة ثم تزوجها، أو اشتراها إن كانت أمة. للعلماء في المسألة قولان:

القول الأول: ذهب أبو حنيفة إلى سقوط الحد عنه.⁴

القول الثاني: ذهب جمهور أهل العلم إلى إقامة الحد عليه.⁵

الأدلة:

أدلة القول الأول: قالوا بأن ملكه لمنفعتها شبهة دائرة للحد.

أدلة القول الثاني: استدل القائلون بإقامة الحد عليه بالقرآن والسنة والمعقول.

فمن القرآن: قول الحق تبارك وتعالى: { الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةً جَلْدَةً⁶ } ومن زنى بامرأة ثم تزوجها أو اشتراها لا يخرج عن الحكم لأن الوطء وقع منه في وقت وهي محرمة عليه بالإجماع.

1 - المغني ج12 ص251، منتهى الإرادات/ج5، ص128.

2 - أبو الخطاب الشيخ الإمام العلامة الورع شيخ الحنابلة أبو الخطاب محفوظ ابن أحمد بن حسن بن حسن العراقي الكلوذاني ثم البغدادي مولده في سنة اثنتين وثلاثين وأربع مئة وصنف التصانيف توفي أبو الخطاب في الثالث والعشرين من جمادى الآخرة سنة عشر وخمس مئة (سير أعلام النبلاء ج19 ص348)

3 - المغني ج12 ص251.

4 - المغني ج12 ص378.

5 - المصدر السابق.

6 - سورة النور آية(2).

ومن السنة: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ لَمَّا أَتَى مَا عَزُّ بْنُ مَالِكٍ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ: "أَعْلَاكَ قَبَّلْتَ أَوْ عَمَزْتَ أَوْ نَظَرْتَ قَالَ لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَنْكَنَهَا لَا يَكْنِي قَالَ فَعِنْدَ ذَلِكَ أَمَرَ بِرَجْمِهِ"¹

ومن المعقول: أنه وقع منه الزنى قبل عقد الزوجية أو الملك، فوجب عليه الحد فلا يسقط عنه إلا بدليل ولا دليل هنا.

القول المختار: الذي يبدو لي أن القول بعدم سقوط الحد عنه هو الصحيح؛ لما ذكر من الأدلة، ولأنه زنى بأجنبية عنه وتغير حالها لا يسقط الحد كما لو ماتت. والله أعلم.
-الرجوع عن الإقرار: هل الرجوع عن الإقرار مسقط للحد؟ للعلماء في المسألة أقوال نجملها فيما يأتي:

القول الأول: يقبل من المقر بالزنى الرجوع عن إقراره قبل تنفيذ الحكم، وأثناء التنفيذ. وبه قال الحنابلة، والشافعية، وأبو حنيفة، وأبو يوسف، ومالك.²

القول الثاني: يقام عليه الحد ولا يترك. وبه قال الحسن³، وسعيد بن جبيرة⁴، وابن أبي ليلى⁵، وعثمان البتي^{6,7}

الأدلة: أدلة القول الأول: استدلل القائلون بقبول الرجوع عن الإقرار بأدلة منها:
أن ما عزراً هرب عندما اذلقته الحجارة فقال النبي صلى الله عليه وسلم "هلا تركتموه يتوب فيتوب الله عليه"⁸ ففي الحديث دلالة قوية على أنه تقبل توبته ورجوعه عن إقراره.

1 - أخرجه البخاري في صحيحه/كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة/باب هل يقول الإمام للمقر: لعلك لمست أو غمزت/رقم(6824)ص1206، سنن أبو داود/كتاب الحدود/باب رجم ما عزر بن مالك/رقم(4427)ص661، مسند أحمد/ بداية مسند عبد الله بن العباس/ج1ص512رقم(2129) وغيرهم.
2 - المغني ج12ص236، منتهى الإرادات/ج5ص126، مغني المحتاج ج5ص467، الفواكه الدواني ج5ص342، قفو الأثر في شرح بلوغ المرام بكلام ابن حجر/ج4ص1491.
3 - الحسن بن أبي الحسن يسار الإمام شيخ الإسلام أبو سعيد البصري نشأ بالمدينة وحفظ كتاب الله في خلافة عثمان لازم الجهاد ولازم العلم والعمل وكان أحد الشجعان الموصوفين يذكر مع قطري بن الفجاءة مات سنة عشر ومائة وله ثمان وثمانون سنة رحمه الله تعالى(تذكرة الحفاظ ج1ص71).
4 - سعيد بن جبيرة الأسدي مولاهم، الكوفي، ثقة ثبت فقيه، قتل بين يدي الحجاج، سنة خمس وتسعين، ولم يكمل الخمسين. (تقريب التهذيب ج1ص234).
5 - محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى العلامة الإمام مفتي الكوفة وقاضياها أبو عبد الرحمن الأنصاري الكوفي، وكان نظيراً للإمام أبي حنيفة في الفقه، مات في سنة ثمان وأربعين ومائة. (سير أعلام النبلاء ج6ص310)
6 - هو عثمان بن مسلم البتي، أبو عمرو البصري روى عن أنس بن مالك والحسن البصري وعنه إسماعيل بن علية وحمام بن سلمة وثقه أحمد وابن معين وغيرهم وكان صاحب رأي وفقه، روى له الأربعة. (تهذيب الكمال ج19، ص492 وما بعدها).
7 - المغني ج12ص236، علاج القران الكريم للجريمة ص205.
8 - أخرجه أبو داود/كتاب الحدود/باب رجم ما عزر بن مالك/رقم(4419)، سنن الترمذي/كتاب الحدود/باب ما جاء في درء الحد عن المعترف إذا رجع/رقم(1428)، سنن ابن ماجه/كتاب الحدود/باب الرجم/رقم(2554)، سنن الدارمي/كتاب الحدود/باب المعترف يرجع عن اعترافه/رقم(2318) صححه الشيخ الألباني بدون قوله "لعله....".

وعن بريدة¹ قال كنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نتحدث أن الغامدية² وما عز بن مالك لو رجعا بعد اعترافهما أو قال: لو لم يرجعا بعد اعترافها لم يطلبهم وإنما رجمهما عند الرابعة³.

- أن الرجوع عن الإقرار شبهة، والحدود تدرأ بالشبهات.
- أن الإقرار إحدى بينتي الحد فيسقط بالرجوع عنه كالبينة إذا رجعت قبل إقامة الحد.

أدلة القول لثاني: - استدل الذين قالوا يقام عليه الحد ولا يترك بأدلة منها:

- قصة ماعز، وأن الصحابة رفضوا أن يردوه وقتلوه.
وجه الدلالة في الحديث أنه لو قبل رجوعه لغرمهم الرسول صلى الله عليه وسلم دينه، ولم يحدث ذلك فدل على أنه لم يقبل رجوعه .
- أنه حق وجب بإقراره فلم يقبل رجوعه، كسائر الحقوق.

مناقشة الأدلة والترجيح: الجواب على أدلة أصحاب القول الثاني هي:

- أما قولهم بأن الرسول صلى الله عليه لم يغرم الصحابة دية ماعز، فالجواب عليه بأن رجوعه لم يكن صريحاً فلذلك لم يغرم الصحابة الدية.
- وأما أنه حق وجب بإقراره فلم يقبل رجوعه كسائر الحقوق. فالجواب عليه بأنه فارق سائر الحقوق بأن الحدود تدرأ بالشبهات بخلاف الحقوق الأخرى .

ونخلص من هذا إلى أن القول الأول هو الصواب؛ لوضوح الدليل وصراحته في قبول الرجوع؛ وذلك قوله صلى الله عليه وسلم " هلا تركتموه يتوب فيتوب الله عليه"⁴؛ ولأن الحدود تدرأ بالشبهات، ورجوعه أقوى شبهة. ومن ذلك يتبين أن الرجوع عن الإقرار مسقط للحد. والله اعلم.

سقوط الحد عن العذراء. إذا شهد أربعة على امرأة فاتضح بالبينة أن المرأة عذراء، فهل يسقط عنها الحد؟ للعلماء في المسألة قولان:

القول الأول: لا حد عليها. وبه قال الحنابلة، والشافعية، والحنفية⁵.

القول الثاني: عليها الحد إلا أن يشهد أربعة رجال بأنها عذراء. وبه قال مالك⁶.

الأدلة: أدلة القول الأول:

1- بريدة بن الحبيب بن عبد الله بن الحارث الأسلمي أسلم حين مر به النبي صلى الله عليه وسلم مهاجراً بالغميم وقيل أسلم بعد منصرف النبي صلى الله عليه وسلم من بدر وكان غزاً خراسان في زمن عثمان ثم تحول إلى مرو فسكنها إلى أن مات في خلافة يزيد بن معاوية قال بن سعد مات سنة ثلاث وستين (الإصابة ج1 ص286)

2- الغامدية: المرجومة في الزنا وهي التي أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله طهرني... ثم رجمها وصلى عليها ودفنت. (أسد الغابة ج6، ص440، رقم (7703)).

3- أخرجه أبو داود/كتاب الحدود/باب رجم ماعز بن مالك/رقم (4434) ضعفه الشيخ الألباني.

4- سبق تخريجه قريباً.

5- المغني ج12 ص256، مغني المحتاج ج5 ص468.

6- الفواكه الدواني ج2 ص338.

قال ابن قدامه: (ولنا أن البكارة تثبت بشهادة النساء ووجودها يمنع من الزنا ظاهراً؛ لأن الزنى لا يحصل بدون الإيلاج في الفرج، ولا يتصور ذلك مع بقاء البكارة؛ لأن البكر هي

التي لم توطأ في قبلها، وإذا انتفى الزنى لم يجب الحد كما لو قامت البينة بأن المشهود عليه بالزنا محبوب)¹.

وقال : (يجب أن يكتفي بشهادة امرأة واحدة ؛ لأن شهادتها مقبولة فيما لا يطلع عليه الرجال)².

أدلة القول الثاني : استدل الإمام مالك لقوله بأن شهادة النساء لا مدخل لها في الحدود، فلا تسقط بشهادتهن.

مناقشة الأدلة والترجيح. الذي يظهر أن الراجح هو قول الجمهور، لما ذكره من الأدلة، ولأن الحدود تدرأ بالشبهات وهذه شبهة.

وأما قول الإمام مالك بأن شهادة النساء لا مدخل لها في باب الحدود فهي هنا ليست شهادة على حد، وإنما هي شهادة على أنها رتقاء، أو عذراء فقط، وهي مما لا يطلع عليه إلا النساء، وشهادة النساء حجة في هذا الباب. ومما سبق يتبين لنا أن وجود البكارة مسقط للحد. والله أعلم.

-التقادم: التقادم في اللغة: أصله قدم: القاف والذال والميم أصل صحيح يدل على سبق ورَعْف³، ثم يفرع منه ما يقاربه: يقولون: القَدَم: خلاف الحدوث، ويقال: شيء قديم، إذا كان زمانه سالفاً، ويقال: لفلان قدم صدق، أي شيء متقدم من أثر حسن⁴. وهو الشهادة أو الإقرار بزنا تقادم عهده. وللعلماء في المسألة قولان:

القول الأول: إذا ثبت الزنا بالبينة أو بالإقرار يقام الحد ولو كان في زمن قديم. وبه قال الحنابلة، والمالكية، والشافعية⁵.

القول الثاني: يقام الحد بالإقرار ولا يقام بالبينة إذا كانت الجريمة قديمة. وبه قال أبو حنيفة وصاحبه - ولم يحد أبو حنيفة للتقادم حداً وأما أبو يوسف ومحمد فقدراه بشهر - وذكره ابن أبي موسى مذهباً لأحمد⁶.

الأدلة:

أدلة القول الأول: استدل القائلون بعدم التقادم بأدلة منها:

● أنه لا دليل في الشرع على أن الحدود وعقوباتها تسقط بمضي مدة معينة.

1 - المغني ج 12 ص 256 (د)

2 - المصدر السابق ج 12 ص 257.

3 - الرعف السبق والتقدم ومنه راعوفة البئر: حجر يتقدم من طيها نادراً، يقوم عليه الساقى.

4 - معجم مقاييس اللغة ص 847.

5 - المغني ج 12 ص 254 ، مغني المحتاج ج 5 ص 468.

6 - بدائع الصنائع ج 5 ص 508، المغني ج 12 ص 254.

• إن ولي الأمر ليس له الحق في العفو في هذه الجرائم وعقوباتها فكذاك إسقاطها.

• عموم النصوص الشرعية الأمرة بإقامة الحدود.

أدلة القول الثاني: استدل القائلون بسقوط الحد بالتقادم بأن الشاهد إذا عاين الجريمة فهو مخير بين أداء الشهادة حسبة لله تعالى لقوله عزوجل: {وأقيموا الشهادة لله} ¹ وبين التستر على أخيه المسلم لقوله عليه الصلاة والسلام "من ستر على أخيه المسلم ستر الله عليه في الآخرة" ² فلما لم يشهد على فور المعايينة حتى تقادم العهد دل ذلك على اختيار جهة الستر، فإذا شهد بعد ذلك دل على أن الضغينة حملته على ذلك فلا تقبل شهادته. لما روي عن سيدنا عمر أنه قال : أيما شهود شهدوا بحد لم يشهدوا بحضرتة فإنما هم شهود ضغن ولا شهادة لهم. ولم ينقل أنه أنكر عليه منكر فيكون إجماعاً ³.

القول المختار: الذي يترجح لدي من خلال النظر والبحث، أن الحدود لا تسقط بالتقادم لما ذكر من الأدلة، ولعموم النصوص الواردة في إقامة الحدود، ولم تفرق بين تقادم من غيره.

وعليه فلا يكون التقادم من مسقطات حد الزنى. والله أعلم.

التوبة.

هل توبة من اقترف حداً مسقطاً للحد أم لا؟ من خلال النظر في أقوال أهل العلم نجد أن لهم قولين هما:

القول الأول: التوبة مسقط للحد وهو قول في المذهب الحنبلي، وقول للشافعية ⁴.

القول الثاني: لا يسقط الحد بالتوبة، وهو قول مالك، وأبي حنيفة، وأحد قولي الشافعية، ورواية عند الحنابلة ⁵.

الأدلة:

أدلة القول الأول: استدل القائلون بسقوط الحد بالتوبة بأدلة منها:

■ قوله تعالى: {واللذان يأتيانها منكم فأذوهما فإن تابا وأصلحا فأعرضوا

عنهما} ⁶.

وذكر حد السارق ثم قال: {فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه} ⁷.

1- سورة الطلاق آية (2).

2- أخرجه مسلم/كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار /باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، وعلى الذكر/رقم (2699)ص1011، سنن الترمذي/كتاب الحدود/باب ما جاء في الستر على المسلم/رقم (1425)ص336، سنن أبو داود/كتاب الأدب/باب في المعونة للمسلم/رقم (4946)ص741.

3- بدائع الصنائع ج5ص507.

4- المغني ج12ص423.

5- المصدر السابق.

6- سورة النساء آية (16).

7- سورة المائدة آية (39).

- قول النبي صلى الله عليه وسلم "التائب من الذنب كمن لا ذنب له" ومن لا ذنب له لا حد عليه.
- وقال في ما عز لما أخبر به ربه: "هلا تركتموه لعله يتوب فيتوب الله عليه"²
- ومن المعقول أن الحد خالص لله تعالى فيسقط بالتوبة كحد الحرابة.
- أدلة القول الثاني: استدلال القائلون بعدم سقوط الحد بأدلة منها:
 - قول الله تعالى: {الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة}³
 - وهذا عام في التائبين وغيرهم. وقال تعالى {والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما}⁴.
 - ولأن النبي صلى الله عليه وسلم رجم ماعزاً والغامدية وقطع الذي أقر بالسرقة وقد جاؤا تائبين يطلبون التطهير بإقامة الحد، وقد سمي رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلهم توبة، فقال في حق المرأة "لقد تابت توبة لو قسمت على سبعين من أهل المدينة لو سعتهم"⁵
 - والحد مع أنه للردع والزجر فهو أيضاً كفارة فلم يسقط بالتوبة ككفارة اليمين والقتل، ولأنه مقدور عليه فلم يسقط عنه الحد بالتوبة.
- القول المختار: الناظر في أدلة كل فريق يجد أن القول بعدم سقوط الحد بالتوبة هو الصواب وذلك للآتي:
 - عموم النصوص الأمرة بإقامة الحد.
 - تنفيذ النبي صلى الله عليه وسلم العقوبة في ماعز والغامدية مع أنها جاءا تائبين.
 - لو فتح هذا الباب أعني إسقاط الحد بالتوبة لكان كل من ارتكب حداً أعلن التوبة، ولا يضره التوبة مع كل حد، وكما هو معلوم من القواعد الفقهية أن دفع المفسد مقدم على جلب المصالح، والمصلحة العامة مقدمة على المصلحة الخاصة. والله أعلم.

1- أخرجه ابن ماجه/باب ذكر التوبة/رقم(4250)ص704، صحيح الترغيب والترهيب/ج3ص219رقم(3145)، هداية الرواة إلى تخريج أحاديث المصابيح والمشكاة ج2ص459 رقم(2302) وحسن الحديث الشيخ الألباني في سنن ابن ماجه وصحيح الترغيب والترهيب.

2- أخرجه أبو داود/كتاب الحدود/باب رجم ماعز بن مالك/رقم(4419)، سنن الترمذي/كتاب الحدود/باب ما جاء في درء الحد عن المعترف إذا رجع/رقم(1428)، سنن ابن ماجه/كتاب الحدود/باب الرجم/رقم(2554)، سنن الدارمي/كتاب الحدود/باب المعترف يرجع عن اعترافه/رقم(2318)، ابن حبان(4439) صححه الشيخ الألباني بدون قوله "لعله....".

3- سورة النور آية(2).

4- سورة المائدة آية(38).

5- أخرجه مسلم/كتاب الحدود/باب من اعترف على نفسه بالزنى/رقم(1696)ص654، سنن أبو داود/كتاب الحدود/باب المرأة التي أمر النبي صلى الله عليه وسلم برجمها من جهينة/رقم(4440)ص663، سنن الترمذي/كتاب الحدود/باب تربص الجم بالحبل حتى تضع/رقم(1435)ص339و340، سنن الدارمي/كتاب الحدود/باب الحامل إذا اعترفت بالزنى/رقم(2325)ص30 وغيرهم.

مجلة الوفاق الإنمائي الدولي للعلوم الإنسانية

مجلة محكمة نصف سنوية تصدر عن مركز الوفاق الإنمائي الدولي

Wefaq International Development Center SDN.BHD. (1155980)

www.wefaqdev.net

المراجع

- أسد الغابة في معرفة الصحابة/لعز لدين الله بن الأثير ابي الحسن على بن محمد الجزري/دار الفكر
- إعلام الموقعين عن رب العالمين/شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية/دار الجيل/-بيروت - لبنان
- الإصابة/ أحمد بن حجر أبو الفضل العسقلان الشافعي/على محمد البجاوي /دار النشر الجيل/بيروت - لبنان/ الطبعة الأولى/1412-1992م
- البيان في مذهب الإمام الشافعي شرح كتاب المهذب كاملاً والفقہ المقارن/يحيى بن أبي الخير العمراني/قاسم محمد النوري/دار المنهاج.
- التدابير الواقية من الزنا في الفقه الإسلامي/الدكتور(فضل النهي)مكتبة المعارف /الرياض/الطبعة الثانية/1406-985 م
- الروض المربع شرح زاد المستنقع /منصور بن يونس البهوتي مع حاشية الشيخ: محمد صالح العثيمين - أخرج أحاديثه عبد القدوس محمد نذير/دار لمؤيد/الرياض - السعودية/الطبعة الأولى/1422 هـ - 2001م.
- السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية/تقي الدين أحمد بن تيمية/دار الكتب العلمية/بيروت - لبنان /1421-2000م .

مجلة الوفاق الإنمائي الدولي للعلوم الإنسانية

مجلة محكمة نصف سنوية تصدر عن مركز الوفاق الإنمائي الدولي

Wefaq International Development Center SDN.BHD. (1155980)

www.wefaqdev.net

- الشرح الكبير بحاشي المغني/ابن قدامة المقدسي/دار الحديث/ القاهرة/ط1/1416-1996م.
- الفتاوى الكبرى/ابن تيمية/دار المعرفة/بيروت - لبنان /الطبعة الأولى/1386هـ
- الفتاوى الهندية المعروفة بالفتاوى العالمكيرية في مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان/الشيخ نظام وجماعة من علماء الهند الأعلام/دار الكتب العلمية/بيروت- لبنان/ط1/1421-2000م.
- الفروق/شهاب الدين أبي العباس أحمد بن إدريس بن عبدالرحمن الصنهاجي المشهور بالقرافي/علاقم الكتب/بيروت - لبنان. الطبعة الرابعة /1418-1997م
- الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني/أحمد بن غنيم بن سالم بن متهنا النفراوي الأزهري المالكي/عبد الوارث محمد على/دار الكتب العلمية/بيروت - لبنان/الطبعة الأولى/1418 - 1997 م
- المعجم الأوسط/للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني/طارق بن عوض الله بن محمد/الحرمين بالقاهرة/1415 - 1995م
- المعجم الوسيط/إبراهيم مصطفى - أحمد حسن الزيات - حامد عبد القادر - محمد على النجار /دار الدعوة /استانبول - تركيا /1410-1989م
- المغني وبحاشيته الشرح الكبير/الشيخ الإمام العلامة ابن قدامة/محمد شرف الدين خطاب- السيد محمد السيد/دار الحديث /القاهرة/الطبعة الأولى/1416-1996 م
- المغني/لأبن قدامة /هجر للطباعة والنشر/القاهرة /الطبعة الأولى - الطبعة الثانية/1410 - 1990م- 1413-1992م
- الوسيط في جريمة الزنا والقذف/د. نصر فريد محمد واصل مفتي الديار المصرية /المكتبة التوفيقية.
- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع / الإمام علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي /محمد عدنان بن ياسين درويش/مؤسسة التاريخ العربي -دار إحياء التراث العربي/بيروت - لبنان/الطبعة الثالثة /1421 - 2000 م .
- بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ومنبع الفوائد/للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي/عبد الله محمد الدرويش/دار الفكر/1412-1992م.
- تحفة الأموزي بشرح جامع الترمذي/للإمام الحافظ أبي العلام محمد عبد الرحمن بن الرحيم المباركفوري/دار الكتب العلمية/بيروت - لبنان /الطبعة الأولى /1410هـ - 1990 م .
- تفسير القرآن العظيم/إسماعيل بن كثير الدمشقي/دار المعرفة/بيروت - لبنان/ط1/1406-1986م.

مجلة الوفاق الإنمائي الدولي للعلوم الإنسانية

مجلة محكمة نصف سنوية تصدر عن مركز الوفاق الإنمائي الدولي

Wefaq International Development Center SDN.BHD. (1155980)

www.wefaqdev.net

- تفسير القرطبي/محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله/أحمد عبد
العليم البردوني/ دار الشعب /القاهرة/الطبعة الثانية/1372هـ
- تقريب التهذيب /ابن حجر /دار الرشيد /سوريا /الطبعة الأولى/1406-1986م
- تهذيب التهذيب/ابن حجر /دار الفكر /بيروت لبنان /الطبعة الأولى /1404-1984م
- سنن ابن ماجة /أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني /حكم على أحاديثه وآثاره وعلق
عليه العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني/مكتبة المعارف /الرياض / الطبعة
الأولى.
- سنن أبي داود /أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني/حكم على أحاديثه وآثاره وعلق
عليه العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني/مكتبة المعارف/الرياض/الطبعة
الأولى.
- سنن البيهقي الكبرى/أحمد بن الحسين بن علي البيهقي/محمد عبد القادر عطا/مكتبة
دار الباز/مكة المكرمة/1414-1994م.
- سنن الترمذي/محمد بن عيسى بن سورة الترمذي/حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه
العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني/مكتبة المعارف// الرياض/الطبعة الأولى
- سنن الدار قطني/لشيخ الإسلام الحافظ الإمام علي بن عمر الدارقطني/عالم الكتب
بيروت /بيروت - لبنان/الطبعة الرابعة/1406هـ - 1986 م.

القيم الثقافية المكتسبة من خلال استخدام الشباب لشبكات التواصل الاجتماعي قراءة في قيمة الرأسمال الاجتماعي الافتراضي

أ. يحي تقي الدين
جامعة قسنطينة

ملخص الدراسة:

نعالج في هذه الدراسة إشكالية المجتمعات الافتراضية، والأنماط العلائقية الجديدة التي فرضتها على الفاعلين، وربما زادت حدة تناول موضوع المجتمعات الافتراضية في الآونة الأخيرة مع الاستخدام الواسع لشبكات التواصل الاجتماعي، الأمر الذي ولد منظومة مفاهيمية جديدة جاءت نتيجة اجتهادات الباحثين وفق سياقات متعددة ومتنوعة ولعل أهمها مفهوم الرأسمال الاجتماعي الافتراضي. إن مصطلح الرأسمال الاجتماعي إنما هو محصلة انتاجات مفاهيمية بين مختلف الباحثين لعل أهمهم بيار بورديو، ولكننا حاولنا في هذه الدراسة تطويع خصائص هذا الرأسمال مع خصائص المجتمعات الافتراضية ليتولد لنا هذا المفهوم المركب، و لم نقف عند هذا الحد فحسب بل حاولنا أن ننظر إليه من زاوية قيمية وإنما قصدنا الجانب القيمي بشقيه المضاميني والاستخداماتي مع ربط ذلك بأهم فئة تستخدم شبكات التواصل الاجتماعي وهم الشباب. الكلمات المفتاحية:

الرأسمال الاجتماعي؛ التفاعل؛ المجتمعات الافتراضية؛ شبكات التواصل الاجتماعي؛ القيم الثقافية

Summary:

We address in this study the problem of virtual communities, patterns of new relational imposed on the actors, and perhaps intensified the theme virtual communities recently with the widespread use of social networks, which was born a new conceptual system came as a result of the jurisprudence of researchers according to multiple and varied contexts, and perhaps the most important concept the default social capital.

The social capital of the term but rather is the result of productions conceptual between the various researchers Perhaps

most notably Pierre Bourdieu, but we have tried in this study to adapt the characteristics of this capital with virtual communities properties generated for us this concept boat, and did not stand at only this point, but we have tried to look at it from the angle ad valorem, but our intention, both moral a and connect it with the most important category of use of social networking and are young.

Key words: Social capital; interaction; virtual communities; social networks; Cultural values.

مقدمة

لقد كان لميلاد المجتمعات الافتراضية أثرا في ظهور العديد من المفاهيم التي ارتبطت بالفعل الاجتماعي داخل الواقع المعاش، ليحاول العديد من الباحثين إسقاطها بما يتناسب مع خصوصية المجتمعات الافتراضية، ولعل أهم هذه المفاهيم هو مفهوم الرأسمال، والذي ارتبط تاريخيا باجتهادات العديد من الباحثين على غرار (بورديو وبوتنام...). في هذا المقال سنحاول تحليل هذا المفهوم لكن ليس تحليلا من الجانب المعرفي المكون لهذا المفهوم، بقدر ما هو تحليل نحاول أن نربطه بالجانب القيمي الثقافي، باعتبار أن القيم هي أحد المشكلات الأساسية التي عالجها الباحثون عبر مختلف التخصصات المعرفية والحقب الزمنية.

إن القيم في بعدها الثقافي المشكل لهوية الفاعلين في المجتمع الافتراضي تجعلنا نتحدث عن أكثر الفئات نشاطا في هذا المجتمع وهم الشباب من خلال استخدامهم لشبكات التواصل الاجتماعي كأحد الفضاءات الرمزية داخل هذا المجتمع، ولتحليل الموضوع أكثر سنعرض بداية لمفهوم المجتمعات والرأسمال الافتراضيين، لنعرج الحديث حول المعادلة الجديدة في الرأسمال الذي يدخل فيه المتغير القيمي كمتغير رئيسي ضمن معادلة الرمزي والمادي لنبين علاقة الشباب بشبكات التواصل الاجتماعي، ونصل أخيرا إلى واقع القيم الثقافية في رأسمال الشباب المستخدم لشبكات التواصل الاجتماعي.

المبحث الأول: مدخل مفاهيمي للمجتمعات الافتراضية والرأسمال الافتراضي.

المطلب الأول: مفهوم المجتمعات الافتراضية

هذه التكنولوجيا الجديدة وبمختلف أشكالها المادية الواسطية التي طرحت نفسها مع خاصية التفاعلية المميزة لها في الجانب التواصلية، أظهرت فاعلين جدد في الوسط المعرفي أصبح لديهم مجتمعه الخاص بهم، والذي

تحده مجموعة من الخصائص والمميزات والافتراضات القيمة والمجتمعية هو المجتمع الافتراضي. ولم يعد مصطلح المجتمع الافتراضي من المصطلحات التي تلفت الانتباه، فقد أصبح استخدامه شائعاً بين مختلف الفاعلين، وبرز هذا المصطلح من خلال ثورة التواصل الاجتماعي الحديثة التي أحدثتها الانترنت، وشكل هذا النوع من المجتمعات عالماً رحباً ومفتوحاً عمل على إنهاء العزلة الجغرافية التي كانت تقف عائقاً أمام التواصل بين البشر، وأوجد بذلك ثقافة جديدة لها قيمها الخاصة وسلوكياتها ومفاهيمها التي بدأت تفرض نفسها على المجتمع الواقعي¹. ويعد (هاورد رينجولد من أوائل المهتمين بدراسة هذا النوع من المجتمعات، حيث قام بدراسات مستفيضة لتحليل خصائصها ومقوماتها وطرق تشكلها والاشباع المحققة للمشاركين فيها، وهذه المجتمعات كما يرى (رينجولد) في كتابه الموسوم "الجماعات الافتراضية هي تجمعات اجتماعية تشكلت من خلال الانترنت من أفراد يقطنون في أماكن متفرقة في أنحاء العالم، يتواصلون مع بعضهم عبر شاشات الكومبيوتر والبريد الإلكتروني ويتبادلون المعارف والهوايات²، وتجمع بينهم اهتمامات مشتركة، ويحدث بينهم ما يحدث في العالم الواقعي أو الفعلي من تفاعلات ولكنها ليست وجهاً لوجه، وهي من هذا المنطلق تجمعات مفتوحة لكل من يريد المشاركة في نشاطاتها³.

ويتضح لنا هذا المفهوم بشكل أوضح من خلال التعريفات الآتية التي يقدمها بعض الباحثين لهذا النوع من المجتمعات:

تجمعات اجتماعية تجمع بين أصحاب الاهتمامات المشتركة وأهل التخصص الواحد وأصحاب الرأي وجماعات السمر والردشة وتبادل الآراء والنوادر، ويمكن لأي عضو في هذه الجماعة أن يبيت حديثه لجميع أعضائها دون استثناء أو يختص فريقاً منهم، ويمكن للعضو أن يقدم نفسه تحت أسماء مستعارة، ويمكن أن ينتكر العضو في شخصيات متعددة⁴.

تجمعات اجتماعية تظهر عبر شبكة الانترنت عندما يدخل عدد كاف من الناس في منافشات عبر فترة كافية من الزمن، يجمع بينهم شعور إنساني كاف بحيث يشكلون مواقع للعلاقات الشخصية عبر الفضاء الإلكتروني⁵.

¹ حلمي ساري، التواصل الاجتماعي، ط 1، كنوز المعرفة، الأردن، 2006، ص134.

² RHEINGOLD, H, THE VIRTUAL COMMUNITY: homesteading on the electronic frontier, reading, M: addison wesley, 2003, p 58.

³ علي نبيل، الثقافة العربية وعصر المعلومات: رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي، عالم المعرفة، العدد: 256، 2001، ص83.

⁴ زايد أحمد وآخرون، رأس المال الاجتماعي لدى الشرائح المهنية من الطبقة الوسطى، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، جامعة القاهرة، 2006، ص 23.

⁵ حمادة بسيوني حرية الاعلام الإلكتروني الدولي وسيادة الدولة مع إشارة خاصة إلى الوضع في الدول النامية، مركز دراسات وبحوث الدول النامية جامعة القاهرة 2001، ص 26.

تجمعات اجتماعية تظهر عبر شبكة الانترنت، تشكلت في ضوء ثورة الاتصالات الحديثة، تجمع بين ذوي الاهتمامات المشتركة، يتواصلون فيما بينهم ويشعرون كأنهم في مجتمع حقيقي⁶ والمتأمل للتعريفات السابقة يرى بجلاء خصائص المجتمع الافتراضي والتي تنعكس على كل الأشكال المختلفة له والفضاءات الرمزية التي تجسده.

ويمر بناء المجتمع الافتراضي بمراحل عديدة أهمها⁷:

تحديد الأفراد المشاركين في هذا المجتمع أي تحديد جنسهم وفئاتهم وأعمارهم وطبقاتهم الاجتماعية وخلفياتهم العلمية وهواياتهم وعقيدتهم .

تحديد الأهداف: أي تحديد الغايات التي : هؤلاء الأفراد لتحقيقها سواء كانت ثقافية أو اجتماعية أو سياسية أو ترفيهية .

المشاركة النشطة للأفراد في نشاطات هذا المجتمع: فالجميع يعمل والجميع يساهم في النشاطات التي يجتمعون حولها في المجتمع الافتراضي.

التعبئة: ينغمس المشاركون في المجتمع الافتراضي بتحقيق أهدافهم ويشاركون سوية في نشاطاته، ويعملون على استقطاب فاعلين جدد لمجتمعهم .

زيادة عدد النشاطات التي يمارسها أفراد المجتمع وذلك من خلال عرض صور وتفاعلات ورسوم وتعليقات... التمثيل التنظيمي: أي أن يصبح لأفراد هذا المجتمع تنظيم محدد ومنظم وحضور قوي في المناسبات المختلفة.

ويرتبط المجال العام الافتراضي بالانترنت ارتباطا وثيقا، إذ يعد هذا المجال فرصة امام الأفراد ليتبادلوا الأفكار والمعلومات والهوايات والاهتمامات المشتركة، وليكون مجالا للتعبير الحر عن آرائهم التي لا يستطيعون البوح بها او التعبير عنها في مجتمعاتهم الواقعية. ففي هذا المجال يشكل المشاركون فيه ثقافة من نوع خاص تسمى ثقافة المجال الافتراضي⁸، وهي ثقافة لها قيمها وعاداتها ولغتها وسلوكها الذي يميزها عن الثقافة الواقعية، وهو بذلك يتميز بمجموعة من المقومات يمكن أن نوجزها على النحو التالي⁹:

المعرفة التي يمتلكها الأفراد المشاركون في الفضاء الرمزي : لا تقتصر المعرفة في هذا الفضاء على الجانب العلمي والثقافي فحسب، بل على معرفة الطرق التي تمكن

⁶ HAJI,S,Building successful online communities, In hart greenfiled, johnston, EDS, nonprofit internet strategies: best practices, 2005, p 91.

⁷ حلمي ساري، مرجع سبق ذكره، ص 140

⁸ زكي وليد المشاركة عبر المجتمع الافتراضي مجلة الديمقراطية، العدد 20، القاهرة، أكتوبر 2010، ص 53.

⁹ المرجع نفسه، ص 54.

الأفراد المشاركين من الدخول إلى هذا العالم والنفوذ إليه واكتساب آليات التعامل معه أيضا.

الشعور بالتميز والوحدة: يشعر الأفراد المشتركون في المجتمع الافتراضي بأنهم يشكلون جماعة خاصة مميزة، لها إهتماماتها وأهدافها المشتركة التي يعملون من أجل تحقيقها.

المشاركة القائمة على تجانس الاهتمامات: يجمع الأفراد في المجال الافتراضي اهتمامات ودوافع وهوايات متشابهة إلى حد كبير يصل حد التجانس، ففوة المعرفة التي بحوزة الأفراد المشتركين في المجتمع الافتراضي وإحساسهم ببعضهم كجماعة مميزة تشترك باهتمامات متشابهة هما اللذان يدفعان بهم إلى المشاركة في النشاطات وإلى تحقيق الأهداف التي اجتمعوا من أجلها في هذا المجال.

ويؤكد (وارن مايس) أيضا على هذه المقومات ويشكل خاص على الشعور الذي يشعر به الأفراد المشاركون في هذا الفضاء، حيث يسود بين هؤلاء الأفراد شعور عام بأنهم يشكلون جماعة خاصة تغلب مصالحها الجمعية على مصالحها الذاتية، ويرى (مايس) في هذا المجال فضاء طبيعيا يحدث داخله تفاعل عام تترك فيه الناس مصالحها الخاصة وتتشغل بالقضايا ذات الطابع الاجتماعي العام¹⁰. وتظهر المشاركة في المجال العام الافتراضي في ثلاثة مجالات هي¹¹:

المعرفة فالمجال العام الافتراضي يقوم بالدرجة الأولى على المعرفة التي يملكها الأفراد في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية و من جهة، وعلى الإلمام والتمكن من سبل النفاذ إلى المجال الافتراضي ليتمكن من المشاركة في نشاطات الجماعة المكونة لهذا المجال من جهة أخرى، وقد تكون هذه المشاركة دائمة ومستمرة في المجالات السابقة أو متقطعة لاعتبارات عديدة، يتعلق بعضها بالفرد ويتعلق بعضها الآخر بطبيعة الموضوعات التي يشارك فيها هذا الفرد.

الفعل: يشكل الجانب الثاني المكمل للمعرفة، والمقصود به هنا هو النشاط الذي يقوم به الشخص المتفاعل مع الجماعة المكونة للمجال العام الافتراضي والذي يمتلك المعرفة ولديه القدرة على الدخول إلى مواقع التفاعلات من أجل الإسهام في النشاطات المتاحة في هذا المجال.

التفاعل: هو تبادل المعلومات والمعارف بين المشتركين في المجال العام الافتراضي، وقد يكون هذا التفاعل بين عدد منهم، وقد يمتد إلى جماعات محددة مع الأخذ بعين

¹⁰المراجع نفسه، ص ص 55-56

¹¹حجازي إسلام الثقافة الافتراضية وتحولات المجال العام السياسي : ظاهرة الفيس بوك في مصر أنموذجا، المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية القاهرة، 2009، ص 73.

الاعتبار أن تفاعلات المجال العام الافتراضي. تقوم بالأساس على مشاركة الاهتمامات المتجانسة بين الأعضاء.

وقد عقد الباحثان في الفضاءات التقليدية والفضاءات الافتراضية (جراهام ومارين) المقارنات التالية التبيين خصائص كل شكل من أشكال مدين القضاءين¹²:

الفضاء التقليدي فضاء حقيقي وأما القضاء الافتراضي فهو قضاء غير حقيقي، بل تخيلي.

بتمبر القضاء التقليدي بوجود الأماكن والمدن والمؤسسات الطبيعية التي يوجد فيها الأفراد، في حين ينتشر القضاء الافتراضي في الشبكات الالكترونية التي يتم انشاؤها باستخدام تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات.

الفضاء التقليدي فضاء ملموس، وأما القضاء الافتراضي فهو غير محسوس.

يشكل القضاء التقليدي جزءا من الواقع التقليدي، وأما القضاء الافتراضي فلا يوجد مع الواقع التقليدي بل يوجد موازيا له.

صف القضاء التقليدي بأنه قضاء اجتماعي في حين ينصف القضاء الافتراضي بانه فضاء غير اجتماعي.

ورغم هذه الفروق التي توحى بوجود اختلافات بين هذين الفضائين إلا أن الحقيقة هي ان هذه الفروقات لا تشكل قطيعة معرفية بينهما، وفي هذا الصدد يرى الباحث (وليم باري) ومجموعة من الباحثين الذين يشاركونه رؤيته، بان الطبيعة غير المادية

للفضاءات الرمزية الافتراضية لا تنفي عنها الصبغة الاجتماعية بصفة كلية، فقد تتطور العلاقات بين الأفراد والمؤسسات والجماعات التي يتم انشاؤها افتراضيا للتحويل في

الواقع الفعلي، والفضاء الافتراضي لا يفرض نفسه مقابلا للفضاء التقليدي أو بديلا عنه، بل هو فضاء منافس له، فهناك قدر كبير من العلاقات التفاعلية المستمرة بين

الواقعي والافتراضي، وتتضح مثل هذه العلاقة التفاعلية في نقل الخبرة او العلاقة من المستوى الافتراضي إلى المستوى الواقعي، والتأثر بما يحدث في داخل الواقع ونقله

إلى المستوى الافتراضي، وفي التفاعل التبادلي أيضا بين الواقعي والافتراضي¹³.

المطلب الثاني: مفهوم الرأسمال الافتراضي

من المفاهيم الأخرى الجديدة التي أوجدتها الانترنت مفهوم الرأسمال الاجتماعي الافتراضي، إذ يعد هذا المفهوم من أكثر المفاهيم التي جذبت اهتمام العاملين في العلوم

الانسانية والاجتماعية، على الرغم من أن الرأسمال الاجتماعي كمفهوم اجتماعي

¹² المرجع نفسه، ص 74.

¹³ أبو زاهر نادية، رأس المال الاجتماعي والجدل حول علاقته بالمجتمع المدني، الحوار المتمدن، العدد 2242، محور المجتمع المدني 2008.

موجود في التراث السوسيولوجي منذ القرن 19م¹⁴، حيث تم استخدامه في تلك الفترة ليؤكد على المردود الايجابي والفائدة الكبيرة التي تعود على الأفراد وعلى المجتمع المحلي جراء انخراطهم في الجماعات الاجتماعية ومشاركتهم في نشاطاتها، ونستطيع ان نلمس مثل هذا التأكيد عند ايميل دور كايم، حيث يرى ان الحياة في اطار الجماعة تعد حصنا منيعا للفرد في مواجهة الاغتراب أو "اللامعيارية أو انعدام القيم والضياع، كما يمكن تلمسه أيضا في التمييز الذي عقده (كارل ماركس) بين مفهوم الطبقة في ذاتها" و "الطبقة لذاتها" فالأولى عنده هي طبقة مفتتة لا رابط بينها والثانية طبقة مؤثرة وحاشدة لأعضائها¹⁵.

وقد توسعت مجالات استخدام هذا المفهوم بدخول الانترنت؛ فلم يعد مقتصرًا على مشاركات الأفراد في المجتمعات الحقيقية أو الواقعية بل تعداها إلى مشاركتهم في المجتمعات الافتراضية – التخيلية، إذ أصبح الاستخدام الجديد يتمحور حول قدرة الأفراد على العمل معا داخل شبكات العلاقات المشتركة.

ولقد أثار رأس المال الاجتماعي بمفهومه الافتراضي تساؤلات عديدة لدى الباحثين حول قدرة الانترنت في تشكيل مثل هذا النوع من رأس المال الاجتماعي، ولعل أكثر الأسئلة جدية في هذا الخصوص تلك التي أثارها كل من (آجرين) و (بلانشر وهوزان) وهي¹⁶:

هل تسهم المشاركة في المجتمعات الافتراضية التي أوجدها الانترنت في تكوين رأس مال اجتماعي لأعضائها؟

ما خصائص هذا النوع الجديد من رأس المال الاجتماعي؟

كيف يمكن قياس رأس المال الاجتماعي الافتراضي مقارنة بقياس رأس المال الاجتماعي الحقيقي؟

وبنظرة تاريخية للمفهوم، فإنه اشتق من مفهوم رأس المال، وكانت الوجهة الأولى لهذا المفهوم وجهة اقتصادية هي وجهة نظر (كارل ماركس)، غير أن المفهوم اتسع ليشمل أشكالًا أخرى من الرأسمال "اجتماعي، ثقافي.. .." ورغم أن أول استخدام لمفهوم الرأسمال الاجتماعي يعود إلى (هانيفان) في عام 1916، الذي استخدمه ليشير إلى تلك القوة الاجتماعية الكامنة التي تكفي لتحسين ظروف المعيشة التي يمكن ان يستفيد منها

¹⁴ انجلز ديفيد وهيوسون جون، مدخل إلى سوسيولوجيا الثقافة، تر لما نصير المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات بيروت، 2013، ص27.

¹⁵ زكي وليد، مرجع سبق ذكره، ص 57.

¹⁶ المرجع نفسه، ص58.

أفراد الجماعة¹⁷ والتي تنشأ من التعاون بين أفراد الجماعة غير أن شيوعه وانتشاره بشكل واسع، وعدد يعزى إلى عالم الاجتماع الفرنسي بيير بورديو) وإلى (جيمس كولمان) و (روبرت بوننام وسنقوم بتوضيح كل واحد منهم لهذا المفهوم:

رأس المال الاجتماعي عند (بورديو):

يعد (بورديو) من أوائل علماء الاجتماع الذين قاموا في بداية الثمانينات بجهود كبيرة في تحليل هذا المفهوم الذي يشكل حجر الزاوية في مشروعه النظري المسمى "نظرية الممارسة"، لقد أعاد (بورديو) اكتشاف مفهوم الرأسمال الاجتماعي، وساهم في تأسيس نظرية سوسيولوجية حوله، وكشف عن أهمية شبكة العلاقات الاجتماعية في انتفاع الفرد والطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها من الموارد الاجتماعية المادية والرمزية¹⁸. وفي سياق توصيفه للأنواع المختلفة من رأس المال يذكر (بورديو) ثلاثة أنواع خلاف رأس

المال الاقتصادي، هو:

رأس المال الثقافي: ويتكون هذا النوع من رأس المال مما يمنحها التعليم والتدريب من مهارات ومعرفة وامتنيازات وتوقعات ومكانة اجتماعية، إذ لم ينظر (بورديو) للمدارس والجامعات باعتبارها مواقع لتوزيع رأس المال الثقافي، بل هي مواقع لمنح شرعية لرأس المال الثقافي للطبقتين الوسطى والعليا، وانبثق هذا النوع من الرأسمال عنده بصورة أولية عندما كان يبحث في تفسيرات الانجاز المدرسي غير المتكافئ للأطفال الذين ينحدرون من أسر متفاوتة في درجات تعليمها رغم أنها متشابهة في أصولها الاجتماعية، وقد أوصلته دراساته في هذا الموضوع إلى ان النجاح او الفشل المدرسي إنما يعزى إلى مقدار كمية رأس المال الثقافي الموروث من الوسط العائلي وليس عن طريق الانجاز الفردي او الموهبة، ويوجد رأس المال الثقافي في صور متعددة، فقد يكون مجموعة من القدرات والخصائص الدائمة المتمثلة داخل الفرد كالمعرفة والمهارات المختلفة، وقد يتمثل في السلع الثقافية كالكتب واللوحات الفنية ويتمثل ذلك في الألقاب والشهادات العلمية¹⁹.

رأس المال الرمزي: هو مجموع الموارد المتاحة للفرد نتيجة امتلاكه سمات محددة، كالرف والهيبة والسمعة الطيبة والسيارة الحسنة التي يتم ادراكها وتقييمها من جانب أفراد المجتمع، ويعد الرأس المل الرمزي مصدرا للسلطة، حيث يمنح صاحبه مكانة اجتماعية في الجماعة التي ينتمي إليها²⁰.

¹⁷ SWARTIZ.D, culture and power: the sociology of peire bourdieu, rhieago, 1997, p16.

¹⁸ انجلز، ديفيد هيبسون جو، مرجع سبق ذكره، ص 29.

¹⁹ حجازي إسلام، مرجع سبق ذكره، ص 77.

²⁰ زايد أحمد وآخرون، مرجع سبق ذكره، ص 28

رأس المال الاجتماعي: هو مجموع الموارد الواقعية او المحتملة التي يتم الحصول عليها من خلال شبكة من العلاقات الدائمة المرتكزة على الفهم والوعي المتبادل وذلك في اطار الانضواء تحت لواء جماعة معينة. فالانتماء لجماعة ما يمنح كل عضو من أعضائها سندا من الثقة والأمان الجماعي²¹.

إن نظرية (بورديو) في رأس المال الاجتماعي تتعامل في الواقع معه باعتباره رصيذا اجتماعيا من العلاقات والرموز يتفاعل مع الرصيد الذي يملكه الفرد من الرأسمال المادي؛ فالفرد عندما ينشئ شبكات اجتماعية او ينضم إلى احزاب سياسية او يستخدم ما لديه من رموز المكانة في ممارسات اجتماعية فإنما يكون لنفسه رصيذا اجتماعيا وثقافيا يزيد من مصالحه ومن رصيده من القوة والهيبة²².

رأس المال الاجتماعي عند (كولمان):

تطور مفهوم الرأس المال الاجتماعي بعد (بورديو) بشكل واضح في أعمال عالم اجتماع آخر هو (كولمان)، حيث يرى أن الرأسمال الاجتماعي لا يوجد في الأفراد ولا في الواقع المادي وإنما يوجد في العلاقات الاجتماعية بين الأفراد، ويتشكل من الالتزامات والتوقعات ومن امكانية الحصول على المعلومات والمنافع والفوائد²³.

المبحث الثاني: معادلة الرأسمال الجديد وشبكات التواصل الاجتماعي

المطلب الأول: الرأسمال الجديد: المادي والقيمي والرمزي

تشهد الحقيقة التاريخية أن قوة المجتمعات وضعفها لا يتحدد بالمعايير المادية وحدها ، بل إن بقاءها ووجودها واستمراريتها مرهون بما تمتلكه من معايير قيمية وخلقية ، فهي الأسس والموجهات السلوكية التي يبني عليها تقدم المجتمعات ورفيها ، والتي في إطارها يتم تحديد المسارات الحضارية والإنسانية ورسم معالم التطور والتمدن البشري ومن هنا فإن القيم تحفظ للمجتمع هويته وتميزه ، ذلك أن القيم تشكل محورا رئيسا من ثقافة المجتمع ، وهي الشكل الظاهر من هذه الثقافة التي تعكس أنماط السلوك الإنساني الممارس فيه ، ونظرا لتغلغل القيم في جوانب الحياة كافة فإن هوية المجتمع تشكل وفقا للمنظومة القيمية السائدة في تفاعلات أفرادها الاجتماعية ، فالمجتمعات تتمايز وتختلف عن بعضها البعض بما تتبناه من أصول ثقافية ومعايير قيمية تشمل نواحي الحياة المختلفة ، وتظهر القيم كعلامات فارقة وشواهد واضحة ، لتمييز المجتمعات عن بعضها ، ومن هنا فإن الحفاظ على هوية المجتمع تنبع من المحافظة على معاييرها القيمية المتأصلة لدى أفرادها، والتي هي جزء من عمومياته الثقافية ، فإن زعزعت هذه

²¹ SWARTIZ.D, IBID, P17

²² خميس هاني، رأس المال الاجتماعي للمركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية، القاهرة، 2008، ص 51.

²³ -Abderrahmane azzi, development: ethical competence in the information age, Islamic studies, vol 7,no 1,1998.p21.

القيم أو اضمحلت فإن ذلك يكون مؤشرا دالا على ضعف الهوية المميزة للمجتمع وضياعها.

وفي ذات السياق، نرى اجتهادات الدكتور عبد الرحمن عزي في طرحه للرأسمال الرمزي الجديد أداة في مقارنة العمل الاعلامي بصفة عامة²⁴، و قد تم استنباط هذه الأداة من نظرية الحتمية القيمية في الإعلام ، فتم إدراج الرأسمال القيمي بوصفه الجزء الذي دونه تصعب قراءة الرأسمال الرمزي . ، و قد استعان بتقدميات بيار بورديو في ربط الرأسمال الثقافي بالرأسمال الاقتصادي و علاقة هذه الأطراف بالبعد الاجتماعي على اعتبار أن الرمزي جزء من الثقافي²⁵.

ويتعلق الرأسمال القيمي بقيم المجتمع ومعانيه الثقافية التي تشكل هويته وانتماءه إلى بيئة حضارية ذات أبعاد إنسانية عالمية و ينتمي الرأسمال القيمي إلى مجال التدافع الذي يتضمن الحراك الاجتماعي التاريخي في العلاقة القيمية و التضاد بين الخير والشر على مستوى القول الرمزي أو الفعل السلوك الفردي و الاجتماعي ونظريا ، يكون الرأسمال القيمي المرجع في أداء كل من الرأسمال المادي و الرمزي فالترابط بين العناصر الثلاثة المكونة الرأسمال، أساس البناء الحضاري و الحاصل أن هناك تمزة في العلاقة بين هذه العناصر في تجربته المعاصرة بالمنطقة العربية ، و قد ساهمت عوامل تاريخيه و اخرى سياسيه ودوليه في هذا الشرخ مما يجعل الرأسمال الرمزي يتحرك بدون المرجعية وتحول إلى مجال له حياة خاصة به دون أن يكون له إسهام حضاري يذكر خاصة و أن مشروع بناء الإنسان والحضارة بالمنطقة مازال في إطار المشروع و يعمل هذا المجال الرمزي إلى الدفع بالفرد والمجتمع إلى هامش الحضارة و الإنتاج و الاكتفاء بدور المستهلك لمنتجات الآخر إن في الثقافة أو الماديات على النحو الذي بينه مالك بن نبي عندما أشار إلى أن الحضارة لا تقوم بتكديس منتجات الآخرين بل بإنتاج احتياجاتها في شتى المجالات و إذا كان هناك فائض في الرأسمال المادي و الرمزي من خلال عدد وحجم الفضاءات الاعلامية فإن هناك عجزا قيميا بارزا في هذه الأخيرة ، و هو المتغير الأساس في تفسير هزيمة هذا القضاء الرمزي أمام تحديات هذه المرحلة التاريخية و تطلعات الأمة في مجال البناء القيمي و العمراني للحضارة²⁶.

المطلب الثاني: شبكات التواصل الاجتماعي والرأسمال الجديد

²⁴ عبد الرحمان عزي ، دراسات في نظرية الاتصال نحو فكر إعلامي متميز ، ط 01 ، مركز دراسات الوحدة العربية لبنان 2003 ، ص 149

²⁵ المرجع نفسه، ص 151.

²⁶ فهد بن علي الطيار، شبكات التواصل الاجتماعي وأثرها على القيم لدى طلاب الجامعة، العدد : 79، مجلة الجامعة، المملكة العربية السعودية 2014 ، ص195.

لقد ظهرت معالم التحولات المجتمعية الافتراضية الرمزية التي فرضتها التكنولوجيات الحديثة (شبكة الانترنت خاصة)، والتي تعددت فضاءاتها الرمزية في مختلف المواقع والمساحات الاجتماعية، والتي أصبحت فضاءاً نشطاً لنشاطات الرأسمال الاجتماعي الذي تحدده القيمة في سيرورته التفاعلية والتقاربية بين مختلف الفاعلين في هذا الوسط الافتراضي.

ولعل أهم هذه الفضاءات التي يتجسد فيها المجتمع الافتراضي شبكات التواصل الاجتماعي، والتي تعتمد على الاتصال بين مجموعة من الأفراد لهم نفس الميول والاهتمامات، لذلك تعرف بأنها: "منظومة من الشبكات الالكترونية التي تسمح للمشارك فيها بإنشاء موقع خاص به، ومن ثم ربطه خلال نظام اجتماعي إلكتروني مع أعضاء آخرين لديهم نفس الاهتمامات والميول والهوايات أو جمعه مع أصدقائه"²⁷.

وفيما يتعلق بالتغير في القيم ومدلولاتها لدى الشباب الجامعي، فقد تبين في الدراسة التي أجراها (خليفة) بعنوان: التغير في نسق القيم لدى الشباب الجامعي مظاهره وأسبابه، أن هناك كثيراً من القيم والاتجاهات السلبية التي انتشرت بين الشباب الجامعي من أهمها الاختلاط الجنسي التدخين، والاهتمام الزائد بالموضة ... وهي تكشف بذلك عن خلل واضح في منظومة القيم، حيث حدث نوع من التخلي عن العديد من القيم الإيجابية وتبني بعض القيم السلبية²⁸.

ولقد أشارت دراسة (عبد السلام) إلى وجود تأثير سلبي وإيجابي لشبكة الانترنت التي تعد تويتر أهم أدواتها، حيث ذكر أن الاتصال عبر الانترنت يعمل على توسيع شبكة علاقات الفرد الاجتماعية مع الآخرين على المستوى المحلي والإقليمي والدولي، بصرف النظر عن خلفياتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية ... ويتيح للأفراد فرصة تقديم أنفسهم للآخرين بحرية كبيرة ودون قيود، ويلاحظ من خلال مشاهدة الانماط السلوكية الاجتماعية على أرض الواقع أن هناك زيادة مستمرة وإقبالاً مرتفعاً لأعداد الناس، ومن مختلف الفئات والشرائح الاجتماعية، الأمر الذي يؤدي إلى التأثير على سلوكهم وعلاقاتهم الاجتماعية، وطرق التفكير في التعامل مع متغيرات الحياة، الذي من شأنه تعزيز القيم الفردية بدلاً من القيم الاجتماعية وقيم

العمل الجماعي المشترك الذي يمثل عنصراً مهماً في ثقافة المجتمع²⁹. ويعتبر الحديث عن موضوع القيم في شبكات التواصل الاجتماعي أمراً محفوفاً بالمخاطر، فليس من السهل رصد تحديات القيم في هذا المجال. وفي الغالب سيعترض

²⁷ المرجع نفسه، ص 196.

²⁸ المرجع نفسه، ص 197.

²⁹ هشام المكي، الاعلام الجديد وتحديات القيم، ط01، طوب بريس، الرباط، 2014، ص 115

الكثيرون على هذا الطرح وهذا راجع إلى أنهم حينما يصوغون اعتراضهم هذا ذهنياً، فإنهم يستحضرون بلا شك المحاذير الأخلاقية المرتبطة أساساً بمحتويات شبكات التواصل الاجتماعي، فهل تنحصر تحديات القيم في شبكات التواصل الاجتماعي فقط في المحتويات المنافية للأخلاق؟ أم أن الأمر أعقد مما نتصور؟. في واقع الأمر، يعد التفكير في مسألة تحديات القيم المرتبطة بشبكات التواصل الاجتماعي تحدياً في حد ذاته، يتجاوز المقولات الجاهزة والسائدة في أوساط العموم، والتي تتأطر بين محددين اثنين، يتمثل الأول في الإعجاب الشديد بالاعلام الاجتماعي والآفاق الواعدة التي تبشر بها تكنولوجياته الدائمة التجدد والتطور، ويتمثل المحدد الثاني في التحذير من المحتويات السلبية التي يروجها الاعلام الاجتماعي والتي لا يمكن التحكم بها وإخضاعها للرقابة³⁰.

هذا بالإضافة إلى المقولات الجاهزة أيضاً والرأجة بخصوص موضوع القيم ذاته، بحيث أصبح الجميع يتحدث عن أزمة القيم ويحذر منها، وهو ما يتعارض نسبياً مع هذه الطفرة التي تعرفها القيم في العالم المعاصر: كل هذا الاهتمام الدولي بموضوع القيم، بالإضافة إلى الغنى الكبير في مجال القيم، إثر الانفتاح على حضارات وثقافات متعددة بفضل تكنولوجيا الاتصال... فهل نعيش بالفعل أزمة قيم؟. سؤال يجيب عنه الأمين العام السابق لليونسكو (كوشيرو ماتسورا) بالنفي، فيقول: "إن هناك قيماً في الوقت الحاضر أكثر مما يتوجب. إلا أن الأزمة التي نجتازها تدل على أننا قد أضعنا بوصلتنا الأخلاقية، ولم نعد نتمكن من تحديد الاتجاه الصحيح. لا توجد عندنا أزمة قيم - وعندنا منها الكثير - بقدر ما توجد أزمة في تحديد معنى القيم، وفي الاستعداد والأهلية لإدارة شؤوننا. فالمسألة الملحة تتلخص إذاً في معرفة كيفية توجيهنا بين القيم"³¹.

المبحث الثالث: القيم الثقافية لدى الشباب المستخدم لشبكات التواصل الاجتماعي المطلب الأول: شبكات التواصل الاجتماعي والشباب

إن الربط العلائقي بين الشريحة الشبابية وهذا الوسط الافتراضي يرجع إلى النسبة الكبيرة التي يظهر بها الفاعلون الشباب في هذا الوسط، حيث يعتبر موضوع البحث في العلاقة بين هذه الفضاءات والشباب من المواضيع الأكثر تناولاً في جل بلدان العالم لكون الشباب يمثل الشريحة الاجتماعية الأكثر استهلاكاً لهذه الفضاءات. فالشباب اليوم يوصف بجيل الابهام، أو بجيل الترحال، وتوفر مختلف الوسائط الجديدة بصفة عامة فرصاً للاتصال التي يدمجها الشباب في حياته اليومية للحفاظ على الروابط

³⁰ المرجع نفسه ص116.

³¹ السعيد بومعيزة، المعولم والمحلي في الدراسات الاتصالية لدى الشباب الجامعي الجزائري: دراسة ميدانية، دراسة مقدمة في الملتقى الدولي: الشباب والاتصال، والميديا، تونس، 2010، ص 209.

الاجتماعية والعلاقات وتشكيلها وتعزيزها، ومع ذلك فإن ازدياد شعبية وسائط الاتصال لم تعوض أشكالاً أخرى من الاتصال، لأن الشباب يستخدم أكثر من وسيلة في نفس الوقت³². ولقد عالج الباحثون العلاقة بين الشباب والفضاءات الافتراضية من منظورات مختلفة وفي سياقات ثقافية متباينة مما سمح بإعادة النظر في العديد من المفاهيم والتصنيفات و الوصول الى استنتاج تدعمه الكثير من المعطيات الميدانية، ومفاده أن هذه الفضاءات تشكل الشباب وبذوره يُشكل الشباب هذه الفضاءات. إذ يلاحظ ان الشباب في جميع بلدان العالم يتميز بالفة أكثر بالانترنت والهاتف المحمول و...، وهو القوة الأولى المتبنية لمختلف التكنولوجيات الجديدة، والتي تعتبر شبكات التواصل الاجتماعي أحد نتائجها فالشباب يُظهر رغبة ملحّة في التعبير الحر عن نفسه، وتكمن فيه استعدادات التمرد عن الثقافة والتقاليد السائدة، وبالتالي يتبع الشباب استراتيجيات استخدام خاصة به لتبني الفضاءات الافتراضية وتكييفها من أجل الابداع الثقافي والاتصال الاجتماعي.

وقد ترتب على انتشار شبكات التواصل الاجتماعي تزايداً مطرداً في استخدامها حتى وصل عدد مستخدمي شبكة التويتر في العالم العربي نحو 6.5 ملايين مستخدم، بينما زاد عدد مستخدمي الفيسبوك عن 800 مليون مستخدم في العالم، وتجدر الإشارة ان هذه الاحصائيات لعام 2012 ولنا أن نتخيل الزيادة التي وصلنا إليها الآن³³. وفي تقرير أصدرته (وحدة مختبر المستهلك) في شركة (إريكسون) لسنة 2015، تنامي استعمال الانترنت في الجزائر إلى " تزايد استخدامه داخل أوساط الشباب الذين أصبحت عاداتهم الاستهلاكية مماثلة لعادات نظرائهم في أوروبا وأمريكا" وأفاد التقرير أن ارتفاع استخدام الانترنت يقف وراءه الشباب ممن تتراوح أعمارهم بين 15 و 24 سنة، إذ تزداد عادات استخدامهم الأسبوعي لخدمات الانترنت والتطبيقات الذكية، وقال التقرير أن الجزائر على غرار كل من المغرب وتونس، أصبحت تشهد تحولات عميقة على مستوى توجهات استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، بفضل الشباب الذين ترتفع وسطهم نسبة الولوج إلى الانترنت إلى 70 في المائة. وسجل التقرير ان 97 في المائة من أصحاب الهواتف الذكية في المغرب العربي والجزائر تحديداً، يستخدمون تطبيقات الهواتف النقالة من أجل ولوج الشبكات الاجتماعية بالدرجة الأولى³⁴.

³² الفقرة 11 من اعلان المبادئ للمؤتمر الدولي من أجل مجتمع المعلومات ودور الشباب المنعقد في جينيف، ديسمبر 2010.

³³ فهد بن علي الطيار، مرجع سبق ذكره، ص 196.

³⁴ هشام حدوم، 70 بالمائة من الجزائريين مدمنون على الفيسبوك والفابير ، جريدة البلاد، العدد: 31219، 06/02/2015، ص 19.

المطلب الثاني: القيم في الرأس مال الاجتماعي لدى الشباب المستخدم لشبكات التواصل الاجتماعي

إن الشباب الجزائري قد تفاعل مع هذه الفضاءات الافتراضية كغيره من الشباب الآخر، وحاول الاستفادة من خصائص هذه الشبكات الاجتماعية الافتراضية، مطوعا هذا التشبيك العلائقي لتلبية لحاجاته ورغباته المتعددة والمتباينة، وربما النسب الاحصائية أعلاه لا تدلل عن كيفية الاستخدام بقدر ما تدلل على نسبة الاستخدام ولعل الأمر الذي يهمننا في مثل هذه القضايا هو الكيفية التي يرتبط بها هذا الفاعل الشاب بهذا الوسط الافتراضي ومعرفة الرأس مال الاجتماعي الذي يكونه من خلال دمج ذاته التفاعلية في محور المرسل والمتلقي.

إن الرأس مال الاجتماعي الذي يسعى الشباب الى تكوينه افتراضيا ليصبح في كثير من الأحيان واقعا ملموسا لا يخلو من الجانب القيمي الذي يؤطر العملية الاتصالية الهادفة، خاصة وأن هذا التشبيك قد فتح آفاقا لفتح المعولم وتقليص المحلي وهي أحد أبرز خصائص المجتمعات الحداثية التي تعتبر رهان القيم أهم الرهانات التي تسعى لخوض غمارها لتحقيق معادلة الحفاظ على الذات مع التواصل مع الآخر، بالرغم من أن هذه الفكرة الأخيرة تحتاج للعديد من الآليات الفعلية لتحقيقها افتراضيا ومن ثم واقعا وليس هذا فحسب، بل إن هذه الشبكات الاجتماعية قد أوجدت قيما خاصة بما اندمج فيما الشباب فأصبحت أسلم با للاستخدام طريقة للتواصل، الأمر الذي زاد من أهمية الرهان القيمي في الرأس مال الاجتماعي فقيم الوسيلة في حد ذاتها والقيم التي تنتجها الوسيلة، على الرغم من تماهي الاثنين مع بعضهما البعض الأمر الذي يجعلنا في كثير من الأحيان للنظر إلى القيم كإنتاج أخير وليس كبداية إن الشباب الجزائري كغيره من الشباب، تحكمه مجموعة القيم الثقافية التي من شأنها أن تؤطر علاقاته التواصلية حفاظا على ثقافته ومقومات تواجدها، وأمام هذا الفتح التواصلية وتعدد الآراء بين مؤيد ومعارض وموجه للتوسط في المعالجة، نجد أنفسنا أمام رهانات معرفية فرضتها التطورات الحاصلة، خاصة امام الباحثين والمختصين لتحليل الظاهرة أكثر.

الخاتمة:

وأخيرا، بعد القراءة للمفاهيم الجديدة التي أفرزتها التقنية المتعلقة بالرأس مال الجديد، والذي حاولنا فيها إبراز البعد القيمي له، نرى بأن الشباب بحكم استخدامهم الكبير

لشبكات التواصل الاجتماعي، مازالوا يحتاجون الدراسات تتعلق بممارساتهم في هذا المجتمع الافتراضي، ودراسات تهتم بالجانب القيمي في الممارسة، لكن بعيدا عن الحشو المنهجي والتراكم المعرفي الغربي، وإنما الانطلاق من بحث هويتي سياقي تكون فيه المجالات القيمية معتمدة على الذات والزمان والمكان الموجد للفعل الاستخداماتي ضمن سياق شبابنا، الذين هم في أمس الحاجة لبوصلة قيمية ضمن هذه الفوضى العالمية في المفاهيم وتقاطع المجالات.

قائمة المراجع:

- حلمي ساري، التواصل الاجتماعي، ط 1 ، كنوز المعرفة، الأردن، 2006، ص134.
-RHEINGOLD, H, THE VIRTUAL COMMUNITY: homesteading on the electronic frontier, reading, M: addison wesley, 2003, p 58.
-علي نبيل، الثقافة العربية وعصر المعلومات: رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي، عالم المعرفة، العدد : 256، 2001، ص83.
-زايد أحمد وآخرون، رأس المال الاجتماعي لدى الشرائح المهنية من الطبقة الوسطى، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، جامعة القاهرة، 2006، ص 23 .
-حمادة بسيوني حرية الاعلام الالكتروني الدولي وسيادة الدولة مع إشارة خاصة إلى الوضع في الدول النامية، مركز دراسات وبحوث الدول النامية جامعة القاهرة 2001، ص 26.
-HAJI,S,Building successful online communities, In hart greenfiled, johnston, EDS, nonprofit internet strategies: best practices, 2005, p 91.
-حلمي ساري، مرجع سبق ذكره، ص 140
-زكي وليد المشاركة عبر المجتمع الافتراضي مجلة الديمقراطية، العدد 20، القاهرة، أكتوبر 2010، ص 53.
-حجازي إسلام الثقافة الافتراضية وتحولات المجال العام السياسي : ظاهرة الفيس بوك في مصر أنموذجا، المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية القاهرة، 2009، ص 73.
-أبو زاهر نادية، رأس المال الاجتماعي والجدل حول علاقته بالمجتمع المدني، الحوار المتمدن، العدد 2242، محور المجتمع المدني 2008.
-انجلز ديفيد وهيوسون جون، مدخل إلى سوسيولوجيا الثقافة، تر لما نصير المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات بيروت، 2013، ص27.

- SWARTIZ.D, culture and power: the sociology of peire bourdieu, rhiago, 1997, p16.
- انجلز، ديفيد هيوسون جو، مرجع سبق ذكره، ص 29.
- حجازي إسلام، مرجع سبق ذكره، ص 77.
- زايد أحمد وآخرون، مرجع سبق ذكره، ص 28
- SWARTIZ.D, IBID, P17-
- خميس هاني، رأس المال الاجتماعي المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية، القاهرة، 2008، ص 51.
- Abderrahmane azzi, development: ethical competence in the information age, Islamic studies, vol 7,no 1,1998.p21.
- عبد الرحمان عزي ، دراسات في نظرية الاتصال نحو فكر إعلامي متميز ، ط 01 ، مركز دراسات الوحدة العربية لبنان 2003 ، ص 149
- فهد بن علي الطيار، شبكات التواصل الاجتماعي وأثرها على القيم لدى طلاب الجامعة، العدد : 79، مجلة الجامعة، المملكة العربية السعودية 2014 ، ص 195.
- هشام المكي، الاعلام الجديد وتحديات القيم، ط 01 ، طوب بريس، الرباط، 2014، ص 115
- السعيد بومعيزة، المعولم والمحلي في الدراسات الاتصالية لدى الشباب الجامعي الجزائري : دراسة ميدانية، دراسة مقدمة في الملتقى الدولي : الشباب والاتصال، والميديا، تونس، 2010، ص 209.
- الفقرة 11 من اعلان المبادئ للمؤتمر الدولي من أجل مجتمع المعلومات ودور الشباب المنعقد في جينيف، ديسمبر 2010.
- فهد بن علي الطيار، مرجع سبق ذكره، ص 196.
- هشام حدوم، 70 بالمائة من الجزائريين مدمنون على الفيسبوك والفايبر ، جريدة البلاد، ، العدد: 31219، 06/02/2015، ص 19.

السبل الشرعية لمنع الاعتداء على الجنين أ/ دليلة بوزغار

مقدمة

حرصت الشريعة الإسلامية حرصاً شديداً على حفظ النفس البشرية في جميع أطوارها من بدء الخلق إلى الطفولة إلى الرشد إلى الشيخوخة؛ بأن جعلت حفظ النفس مقصد من مقاصدها ، وأقرت لها حقوقاً شرعية تحتاج لها في جميع المراحل بداية من المرحلة الجنينية إلى آخر مرحلة ، وفي الوقت نفسه ولامتداد هذه النفس الإنسانية واستمرارها جعلت حفظ النسل أحد الكليات الخمس التي يجب حفظها.

وهذا لا يتحقق إلا بمنع جميع مظاهر الاعتداء على النفس والنسل معاً، والتي منها ظاهرة الاجهاض التي تتزايد نسبة انتشارها في المجتمعات الإسلامية لدوافع صحيّة أو أخلاقية أو اقتصادية أو اجتماعية...

ولما كان الوصول إلى معرفة الدّواء يتوقف على التشخيص الصحيح للدّاء بات من الضروري معرفة أسباب التزايد الرهيب لانتشار هذه الجريمة ومن ثم تحديد التدابير الاحترازية للوقاية من ذلك بداية، ثم التدابير العلاجية لهذه الظاهرة في ضوء أحكام الشرع الإسلامي بالإجابة على التساؤلات الآتية : ما هي أسباب انتشار هذه الجريمة في هذا العصر ، وماهي التدابير الوقائية والعلاجية في ضوء الشريعة الإسلامية؟ وكيف يمكن تفعيلها واقعياً للحد من هذه الظاهرة ؟ هذا ما أحاول الإجابة عليه من خلال هذه الورقة البحثية بعنوان " السبل الشرعية لمنع الاعتداء على الجنين.

وذلك قصد تحقيق الأهداف الآتية :

- بيان سبق التشريع الإسلامي في تحقيق الحماية التامة للجنين.
- المساهمة في نشر الوعي بخطورة هذه الظاهرة على الفرد والمجتمع .
- محاولة إيجاد حلول لعلاج هذه الظاهرة أو على الأقل للحد منها .

وذلك وفق الخطة الآتية :

أولاً: ضبط مفردات البحث

ثانياً: حقيقة الإجهاض

ثالثاً: أسباب الإجهاض وسبل الوقاية منه

رابعاً: السبل العلاجية لجريمة الإجهاض
خامساً: كيفية تفعيل تلك السبل واقعا
خاتمة

أولاً: ضبط مفردات البحث

قبل الولوج إلى صلب موضوع البحث فلا بد من ضبط لمفرداته حتى يتبين المقصود من الدراسة ، وقد اشتمل العنوان على الكلمات الآتية : السبل - الشرعية الاعتداء الجنين؛ بتعريفها لغة واصطلاحاً ، ثم بيان المعنى المراد باجتماعها جميعاً .

1- تعريف السبل :

لغة : (سبل) السبيل الطريق وما وضح منه¹.
اصطلاحاً: لم يختلف معنى السبيل عن المعنى اللغوي ؛ قال القرطبي : (فَاسْئَلِي سُبُلَ رَبِّكِ) أي طرق ربك. والسبل : الطرق² ، ومن ذلك قوله تعالى : (... يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ

¹ لسان العرب، ابن منظور، دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى، ج 11 ص 311.

² الجامع لأحكام القرآن، تحقيق : هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة : 1423 هـ / 2003 م ، ج 10 ص 135.

اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ... قال ابن عاشور : "وسُبُلُ السَّلَامِ : طرق السلامة التي لا خوف على السائر فيها"¹.

2- تعريف الشرعية :

لغة : الشرعية نسبة إلى الشرع والشرعية ومعناها كما يأتي :
الشرعية أو الشرع لغة جاء في لسان العرب : " .. والشرعية والشراع والمشرعة المواضع التي ينحدر إلى الماء منها قال الليث وبها سمي ما شرع الله للعباد شريعة من الصوم والصلاة والحج والنكاح وغيره والشرعة والشرعية في كلام العرب مشرعة الماء...، ومنه قوله تعالى: (ثم جعلناك على شريعة من الأمر)² ؛ أي سنة وطريقة³ ؛ قال القرطبي : "أي على منهاج واضح من أمر الدين يشرع بك إلى الحق. وقال ابن عباس : "عَلَى شَرِيْعَةٍ" أي على هدى من الأمر. وقال قتادة : الشريعة الأمر والنهي والحدود والفرائض..."⁴ وقوله تعالى : (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا)⁵ عن ابن عباس ان نافع بن الأزرق قال له : أخبرني عن قوله عزوجل: شرعة ومنهاجا قال:"
الشرعة الدين والمنهاج الطريق."⁶

اصطلاحاً : الشرعية تطلق على معنيين :

الأول خاص وهو يتعلق بالأحكام العملية مثل ما جاء في تعريف المراغي بقوله "الشرعية هي الأحكام العملية التي تختلف باختلاف الرسل..."⁷، ووافقه أبو زهرة بقوله هي : "ما جاء من أحكام تكليفية يجب العمل بها أمراً ونهياً وندبا وإباحة"⁸..
الثاني عام : يشمل آراء واجتهادات أهل العلم فيقال في مسألة ما أحكام الشريعة الإسلامية في كذا ويقصد بذلك النصوص الشرعية وآراء الفقهاء.
لذلك اختار البعض أنها" أحكام الدين الإسلامي التي جاءت في الكتاب والسنة واجتهادات أهل العلم"⁹.

3- تعريف الاعتداء :

¹ التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس1997م ، ج 6 ص 150

² الجاثية : 18.

³ -التبيان في تفسير غريب القرآن ، شيايب الدين أحمد بن محمد اللهائم المصري، تحقيق: فتحي أنور الدابولي دار الصحابة للتراث بطنطا - القاهرة، الطبعة الأولى، 1992، ص377.

⁴ الجامع لأحكام القرآن، تحقيق : هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة : 1423هـ / 2003 م ، ج 16 ص 163.

⁵ المائدة : 48.

⁶ الدر المنثور ، السيوطي ، ج 5 ص 120.

⁷ تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، 1365 هـ - 1946م، ج 6 ص 130.

⁸ زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، ج 1 ص 2227.

⁹ مفهوم السياسة الشرعية، موقع على بصيرة 12 رجب 1440هـ " alabasirah.com".

لغة : الاعتداء والتعدي والعدوان الظلم ... يقال تعديت الحق واعتديته وعدوته أي جاوزته، وقد قالت العرب اعتدى فلان عن الحق، واعتدى فوق الحق ، كأن معناه جاز عن الحق إلى الظلم، وعدى عن الأمر جازه إلى غيره وتركه...¹.
اصطلاحا : لا يختلف عن المعنى اللغوي؛ جاء في الموسوعة الكويتية :
الاعتداء في اللغة وفي الاصطلاح : الظلم وتجاوز الحد . يقال : اعتدى عليه إذا ظلمه . واعتدى على حقه أي جاوز إليه بغير حق ².

4- تعريف الجنين

لغة: جن الشيء يجنه جنا ستره وكل شيء ستر عنك فقد جن عنك ... والجنين الولد ما دام في بطن أمه لاستثاره فيه وجمعه أجنة وأجنن بإظهار التضعيف وقد جن الجنين في الرحم يجن جنا وأجنته الحامل³.

اصطلاحا لا يخرج عن المعنى اللغوي⁴. غير أن المزني من فقهاء الشافعية نقل عن الإمام الإمام الشافعي: أن الاستعمال الحقيقي لجنين فيما يكون بعد مرحلة المضغة، واستعماله فيما قبل ذلك يكون من باب المجاز وعبارته قال الشافعي في الجنين " وأقل ما يكون به السقط جنينا فيه غرة أن يتبين من خلقه شيء يفارق المضغة أو العلقة⁵".
وبالتمعن في معاني هذه الكلمات وضم بعضها إلى بعض يكون المقصود هو بيان الطرق المستنبطة من أحكام الشريعة الإسلامية قصد منع كل أنواع التجاوز والتعدي على حياة مخلوق ضعيف لا يزال في بطن أمه، وهذا ما يطلق عليه الإجهاض.

ثانيا : حقيقة الاجهاض :

الإجهاض لغة:

قال ابن منظور : (جهض) أجهضت الناقة إجهاضا وهي مجهض ألقت ولدها لغير تمام والجمع مجاهيض⁶. ، وقال الفيومي : أَجْهَضَتِ الناقَةُ والمرأة ولدها (إجهاضا) أسقطته ناقص الخلق فهي (جَهِيضٌ) و (مُجْهَضَةٌ) بالهاء⁷.
فالإجهاض يطلق اللغه على صورتين : إلقاء الحمل ناقص المدة أو ناقص الخلق من المرأة أو الحيوان دون ذكر لسببه هل هو تلقائي أم بفعل فاعل.
اصطلاحا :

¹ لسان العرب ، ج15، ص31.

² وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت، الطبعة : (من 1404 - 1427 هـ)، الطبعة الثانية، دار السلاسل - الكويت، ج 5 ص 202.

³ لسان العرب ، ج 13 ص 92 .

⁴ الموسوعة الكويتية ، ج 16 ص 117.

⁵ الأم، دار المعرفة - بيروت سنة 1410هـ / 1990م ، ج 6 ص 115.

⁶ لسان العرب ، ج 7 ص 131.

⁷ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، المكتبة العلمية - بيروت، ج1ص.

كلمة الإجهاض متداولة عند أهل الطب والشرع والقانون ، فنحتاج إلى بيان معناه عند كل منهم حتى يتم ضبط الحالات التي يعتبر فيها الإجهاض تعدي وجريمة يجب منعها بكل الطرق والوسائل ؛ كما يلي :

عند أهل الطب : الإجهاض هو : (Abortion) إلقاء الحمل ناقص الخلق أو ناقص المدة، ويسمى أيضا الإسقاط وال طرح والإملاص، فإذا نزل قبل أن يتم (20 أسبوعا) في بطن أمه أو كان وزنه أقل من (500 غرام) سمي سقطا ، ولا يكون قابلا للحياة عادة، أما إذا نزل بين (24 - 36 أسبوعا) فيسمى خديجاً (Premature) ويكون في الغالب قابلا للحياة ولكنه يحتاج غالبا لعناية طبية جيدة¹.

عند أهل الفقه : الإجهاض : إسقاط الجنين ناقص الخلق. وقد عرفه مجمع اللغة العربية في القاهرة بأنه: خروج الجنين من الرحم قبل الشهر الرابع².

فالإجهاض عند الفقهاء: لا يخرج عن المعنى اللغوي ؛ وكثيرا ما يعبرون عن الإجهاض بمرادفاته كالإسقاط والإلقاء وال طرح والإملاص³.

الإجهاض في القانون : لم يعرف القانون الجزائري الإجهاض وإنما أورده في قانون العقوبات في الفصل الثاني تحت عنوان الجنايات والجنح ضد الأسرة والأداب العامة وجعل القسم الأول بعنوان الاجهاض وفصل في عقوبته سواء كان بفعل فاعل أم بفعل الأم نفسها وكل من ساعد في ذلك بالممارسة الفعلية أو بالتحريض⁴.

والملاحظ على التعريفات السابقة عدم التفريق بين الإجهاض التلقائي - العفوي والإجهاض بفعل فاعل، والمقصود في هذه الدراسة هو كل اجهاض فيه معنى التعدي على حق الجنين في الحياة سواء أكان بفعل الأم نفسها أم بفعل فاعل.

أما عمر الجنين الذي يجرم فيه الاعتداء فقد اختلف العلماء فيه إلى عدة آراء، لكن الرأي الراجح الذي يغلق أسباب الفساد هو منذ بداية الخلق وذلك سدا للذرائع خاصة في ظل ضعف الوازع الديني وتزايد دعاوى اعتبار الاجهاض حرية شخصية حيث اتفق العلماء على تحريم الإجهاض دون عذر بعد الشهر الرابع أي بعد 120 يوماً من بدء الحمل، ويعد ذلك جريمة موجبة للغرّة⁵ ، لأنه إزهاق نفس وقتل إنسان. وأرجح عدم جواز الإجهاض بمجرد بدء الحمل، لثبوت الحياة، وبدء تكون الجنين إلا لضرورة وهذا ما ذهب إليه أبو حامد الغزالي في قوله : " لأن ذلك جناية على موجود حاصل

1 الموسوعة الطبية الفقهية أحمد، محمد كنعان ، دار النفائس ، الطبعة الأولى : 1420هـ - 2000م، ص 42

2 القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً سعدي أبو جيب ، دار الفكر دمشق - سورية، الطبعة الثانية 1408 هـ - 1988 م ، ص 72 المعجم الوسيط / إصدار مجمع اللغة العربية . القاهرة ط2 1392 هـ . 1972م ... مادة / جَهَضَ [؟؟؟؟؟؟] .

3 - الموسوعة الفقهية الكويتية ، صادر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت، الطبعة الثانية، دار السلاسل - الكويت، ج 2 ص 56.

4 قانون العقوبات ، الصادر سنة 1115م، المواد314- إلى 313ص12-121.

5 الغرة: دية الجنين، وتساوي 5% من الدية الكاملة أي 50 ديناراً أو 500 درهم.

وله أيضا مراتب وأول مراتب الوجود أن تقع النطفة في الرحم وتختلط بماء المرأة وتستعد لقبول الحياة وإفساد ذلك جنائية فإن صارت مضغة وعلقة كانت الجنائية أفحش وإن نفخ فيه الروح واستوت الخلقه ازدادت الجنائية تفاحشا ومنتهى التفاحش في الجنائية بعد الانفصال حيا¹.

وجاء في توصيات مؤتمر الطب الإسلامي بالكويت : بداية الحياة تكون منذ التحام حيوان منوي ببويضة ليكونا البويضة الملقحة التي تحتوي الحقيبة الوراثية الكاملة للجنس البشري عامة وللکائن الفرد بذاته المتميز عن كل كائن آخر على مدى الأزمنة وتشرع في الانقسام لتعطي الجنين النامي المتطور المتجه خلال مراحل الحمل إلى الميلاد.

ثانيا: منذ يستقر الحمل في بدن المرأة فله احترام متفق عليه ويترتب عليه أحكام شرعية معلومة.

ثالثا: إذا بلغ الجنين مرحلة نفخ الروح (على خلاف في توقيته فلما مائة وعشرون يوما وإما أربعون يوما) تعاضمت حرمة باتفاق وترتبت على ذلك أحكام شرعية أخرى...².
ويخرج من ذلك الحالات الاستثنائية التي قد تقتضيها ضرورة معينة يقدرها أهل الاختصاص من أهل الطب والشرع كما سيأتي بيانه.

ثالثا، أسباب الإجهاض وسبل الوقاية منها :

تعددت أسباب الإجهاض فمنها الصحية، والاجتماعية والاقتصادية، والأخلاقية والنفسية، والسياسية... ، وحتى لا أقع في التكرار فسأذكر السبب ثم أبين مباشرة السبل الشرعية الوقائية الخاصة بكل سبب مع ذكر العلاج الخاص بكل حالة إن وجد ، ، وأترك السبل العلاجية العامة في الأخير باعتبارها عنصر مشترك بينها جميعا وفق منهج تشريعي متكامل يعالج المشكلة قبل الوقوع بالكثير من التشريعات الوقائية ثم في حالة الوقوع يأتي دور العقوبة الشرعية التي تستأصل المرض من جذوره ؛ قال أبو زهرة: تعمل الشريعة على منع الجريمة بثلاث طرق كلها يؤدي إلى ذلك أولها: التهذيب النفسي فإن تربية الضمير هي الأساس الأول في منع وقوع الجريمة وأن العبادات الإسلامية كلها لتربية الضمير وتهذيب النفس وتربية روح الائتلاف في قلب المؤمن والائتلاف هو الذي يكون درع الفضائل الاجتماعية كلها الواقي لها من غازات الرذيلة في النفس، فإن إحساس الشخص بأنه من الجماعة يعيش في ظلها وحمايتها وأنها منه وهو منها يمنع التفكير في الجريمة أو يمنع الإصرار على التفكير فيها إن خطر خاطرها .. والثاني: تكوين رأي عام فاضل لا يظهر فيه الشر ويكون الخير بينا واضحا

¹ إحياء علوم الدين محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، دار المعرفة - بيروت، ج 2 ص 51.

² مجلة مجمع الفقه الاسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الاسلامي بجدة: تصدر عن منظمة المؤتمر الاسلامي بجدة م3ص279.

معلنًا، ولذلك دعت الشريعة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واعتبر الإسلام البريء مسؤولاً عن السقيم إن رأى فيه اعوجاجاً وكان قادراً على تقويمه فعليه أن يفعله... ولم تكتف الشريعة بذلك التكليف العام الذي يقوم كل واحد من المجتمع إن رأى سوءاً يستطيع إزالته - وهذا ما أسميته **السبل الوقائية** - ... والأمر الثالث الذي تتخذه الشريعة ذريعة لمنع الجريمة هو العقاب على ما يقع منها فإن العقاب ردع للجاني وزجر لغيره ومنع لتكرار الوقوع وذلك ببيان وخامة نتائجه بالحس والعيان لا بالعرض والتقدير، ولذا كانت العقوبة أمراً لا بد منه لتطهير المجتمع من أوضاره واستئصال جرائمه أو تخفيف ويلاتها - وهذا ما أسميته **السبل العلاجية** -...¹؛ ذلك أن العقاب على الجرائم ضرورة من ضرورات الحياة الاجتماعية لا مفر منه ولولا العقاب لكانت الأوامر والنواهي ضرباً من العبث فهو الذي يجعل للامر والنهي معنى للتطبيق عند بعض الناس، ولهذا فليس لأحد أن يلغي تلك الحدود الشرعية أو يعطلها أو يؤجلها بغير عذر شرعي².

1- الدوافع الصحية : ويقصد بها تلك التي تتعلق بصحة الأم وصحة الجنين وسأبين كيف حرص الشرع على تحقيق ذلك قبل وقوع الجريمة وبعدها كما يأتي :

أ - الدوافع الصحية المتعلقة بصحة الأم : هي نوعان: **الأول:** نوع يرجع إلى حفظ صحة الأم كما إذا كانت صحة الأم البدنية في حالة ما إذا استمر الجنين يؤدي إلى إصابة الأم بأذى . كان جسيم يسبب لها عجزاً أو مرضاً من الأمراض المزمنة أو يهدد حياتها ... **والنوع الثاني** هو اسقاط الجنين للحفاظ على جمالية الجسم دون أن يكون هناك ضرر صحي .

السبل الوقائية للحالة الأولى : اهتم الإسلام بالأم قبل الحمل وبعده فأوجد الكثير من الأحكام الشرعية التي تؤدي إلى حفظ حياة الأم وصحتها منها مايلي : جعل أساس العلاقة الزوجية هو المودة والرحمة وغايتها هو تحقيق السكن الذي يحقق الأمن ولاستقرار للزوجين وبالتالي الحفاظ على الحالة الصحية والنفسية خاصة للزوجة فقال تعالى : (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً)³.

-إلزام الزوج بالنفقة عليها والمعايشة بالمعروف أثناء العلاقة الزوجية ورتب على ذلك كثير من الأحكام الشرعية التي نحفظ هذا الحق؛ فتكون الزوجة في حالة مستقرة بتحقيق

¹ الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي - العقوبة - دار الفكر العربي د.ط. دبت ص25-28، العدالة الجنائية ومنع الجريمة محمد الأمين البشير أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، مركز الدراسات والبحوث الرياض ط1 سنة (1418هـ -1997م) ص 224.

² مدى فاعلية عقوبة الحدود في محاربة الجرائم الخطيرة، قاسي سي يوسف، رسالة ماجستير، المعهد الوطني العالي لأصول الدين الجزائر سنة (1412هـ، 1992م)، ص 155.

³ الروم : 21.

حاجيتها من كسوة وطعام وعلاج؛ فقال تعالى : (عَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارُّ وَالِدَةٌ بَوْلِهَا¹) ، وقال عليه الصلاة والسلام : " خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي"².

- منع الاضرار بالوالدة بسبب والدها

- في حالة الطلاق شرع لها متعة الطلاق فقال تعالى : (وَلِلْمُطَلَّقاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ)³.

أثبت حقها في أجره رضاع ولدها في حالة الافتراق حتى يحفظ صحتها وحق ولدها (وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)⁴.

-أجاز الشرع للمرأة الحامل والمرضع الإفطار في رمضان وفي كل ذلك حفظ لصحتها وصحة جنينها وحتى لا تكون ظروف الحياة الصعبة سببا في التفكير في التخلص من الجنين بقصد أو غير قصد هذا بالنسبة للحالة الأولى.

أما الحالة الثانية : فقد نهى الإسلام عن التغيير في خلق الله وضبطت العمليات التجميلية بذلك فلا يقبل إسقاط الجنين للحفاظ على رشاقة الجسم وغيرها.

-السبل العلاجية الخاصة: أما إذا تأكد الضرر على صحة الأم بسبب الجنين فهنا اتفق الفقهاء على ضرورة إسقاطه حفاظا على حياة الأصل الأم وهي الحالة الوحيدة التي يجيزها الفقه الإسلامي للإجهاض، ونص عليها قانون الأسرة الجزائري⁵.

في حين لو اسقط الجنين للحفاظ على جمال الأم ومظهرها فهذا ليس مبررا شرعيا بل هو اعتداء يعاقب عليه الشرع دون رحمة أو شفقة فيصدق عليها عقوبة الاجهاض⁶.

- الدوافع الصحية المتعلقة بالجنين: أساس هذا الاجهاض هو منع انتشار الأمراض الوراثية وكذلك تجنب غير ولادة سليمة للأطفال أي ولادة أطفال ذوي عاهات جسمية أو عقلية الناتجة عن تعرض الجنين داخل الرحم للعدوى بأمراض معينة .

السبل الوقائية :

-حث الاسلام بداية على استحباب الزواج من البعيدات دون القريبات لمنع انتشار الأمراض الوراثية وضعف النسل.

1 البقرة : 233.

2 سنن الترمذي ، للإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي محققه وصححه عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر للطباعة والنشر، ج5 ص368.

3 البقرة : 241.

4 البقرة : 233.

5 قانون العقوبات ، المادة 308 ص. 121.

6 قرارات وتوصيات مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، إعداد: جميل أبوسارة أرقام القرارات: 1 - 174 الدورات من الدورة الأولى في عام 1406هـ) - إلى الدورة الثامنة عشرة في عام (1428هـ)، ج 1 ص332.

- تسريع الفحص الطبي قبل الزواج .
 - جواز فسخ للنكاح للعيوب.
 - تسريع الرؤية للمخطوبين.
 - وفي الوقت نفسه حفظ جميع الحقوق للجنين من ميراث ووصية ووقف .
 - جعل الأم مستأمنة على مافي يبطنها فيمنع عليها كل ما يؤذي الجنين فيؤثر على صحته كتناول الأدوية والعقاقير والتدخين وغيرها.
 - عدم توقيع الحدود الشرعية على الحامل حتى تضع ما في بطنها.
 - جواز اخراج الجنين من بطن أمه في حالة وفاتها حفاظا على حياته .
- السبل العلاجية الخاصة :**

عدم جواز اسقاطه لتشوه خلقي خاصة بعد تخلقه وهذه النازلة -إسقاط الجنين المشوه - بحثت في مجلس هيئة كبار العلماء ، وفي مجمع الفقه الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي ، وصدر فيها قرار من مجلس الهيئة، وقرار من المجمع، والقراران متقاربان في تقرير الحكم الشرعي ومما جاء في القراران ما يلي:

ثانيا: أن يكون في طور الأربعين الأولى، فيجوز إسقاطه إذا وجد في ذلك مصلحة شرعية، أو دفع ضرر متوقع، ومن ذلك أن يكون هذا الجنين لو عاش لكان مشوها خلقياً، فهنا لا بأس بإسقاطه في طور الأربعين الأولى.

الثالث: إذا كان ذلك بعد الأربعين وقبل مرور مائة وعشرين يوماً على الحمل فالأمر فيه أهون، يمكن أن يسقط ويعمل إجهاض؛ لأنه الآن ليس إنساناً، لم تنفخ فيه الروح، فمتى أثبت الأطباء بأن الجنين في هذه المرحلة مشوه تشويهاً خطيراً، وغير قابل للعلاج، وأنه إذا بقي فستكون حياته سيئة وآلاماً عليه وعلى أهله أو قالوا إن بقاءه يكون سبباً لهلاك أمه، فحينئذ لا . حرج أن نهض هذا الحمل بناء على طلب الوالدين؛ وذلك لأن هذا الجنين في هذه المرحلة لم تنفخ فيه الروح، وليس بإنسان، إنما هو مضغة أو علقة فيجوز إسقاطه.

رابعاً : إذا كان الحمل قد بلغ مائة وعشرين يوماً، فإنه لا يحل إسقاطه ولو كان التشخيص الطبي يفيد أنه مشوه الخلقة؛ وذلك لأنه قد نفخت فيه الروح، وأصبح إنساناً فإسقاطه هو في الحقيقة قتل لإنسان¹...

- في حالة تورط أهل الطب في اسقاط الجنين بعد التخلق دون مبرر شرعي مقابل أرباح مادية فإن ذلك يعد جريمة يعاقب عليها كل من شارك في ذلك.

¹ الفقه الميسر، عبد الله بن محمد الطيار عبد الله بن محمد المطلق، محمد بن إبراهيم الموسى مدار الوطن للنشر، الرياض - المملكة العربية السعودية الثانية 1433 هـ - 2012 م، ج12 ص 110.

الدوافع النفسية : والتي ترجع إلى خوف شديد ، أو قلق، أو غضب، أو عدم رغبة في المولود الجديد وكل ذلك حفاظا على نفسية المرأة خاصة وأن الدراسات النفسية تؤكد تأثر الجنين بالحالة النفسية لأمه مما قد يؤدي إلى اسقاطه نتيجة تدهور نفسيته.

السبل الوقائية:

-كرم الإسلام المرأة بصفة عامة والأم بصفة خاصة مما يجعلها تفرح كثيرا بتلك المرتبة بل تنتشوق لها بفطرة الأمومة وبمكائنها بين أبنائها وأنها أولى الناس بحسن صحبتها وهذا بدوره يريح نفسية الأم.

-حرم الإسلام إحزان المرأة وأمر بحسن معاشرتها وقد تكرر كثيرا في القرآن الكريم وأكدته السنة النبوية لما ينتج من أضرار بسبب ذلك وهذا ما أكدته الدراسات العلمية: قد وجد أن عملية الضغط النفسي والتوتر التي قد تمر بها المرأة ستنعكس بالسلب عليها إن رغبت في الحصول على مولود...وأثناء الحمل فإن تأثير الحزن لا يقل سوءا عن المرحلة التي قبله بل إنها أسوأ إذ ينعكس مباشرة على صحة الأم وجيلها فالحالة النفسية السلبية للأم قد تؤدي إلى حدوث عملية الإجهاض¹.....

- حرّم ترويعها.

- حث على الرضا بما وهب الله تعالى.

السبل العلاجية الخاصة : عاقب الشرع من تسبب في إجهاض بتخويف أو إرهاب؛ فقال الفقهاء بوجوب الضمان على من خوف امرأة فأجهضت بسبب التخويف، على خلاف وتفصيل في الإجهاض المعاقب عليه، وفي الجنين ذكر أو أنثى، وإن علقه على الأصح، عمداً أو خطأ - عُشْرُ قيمة أمه حُرَّة أو أمة مسلمة أو كافرة حالة في مال الجاني. وقيل على عاقلته بضرب بطنٍ أو ظَهْرٍ، أو تَخْوِيفٍ بِأَمْرٍ يُخَافُ مِنْهُ وتشهد البيينة أنها لزمت الفراش حتى أسقطت². فقُدروي أن عمر بعث الى امرأة مغيبية كان رجل يدخل عليها فقالت ياويلها مالها ولعمر. بينما هي في الطريق إذ فرغت فضربها الطلق فألقت ولدا فصاح الصبي صيحتين ثم مات فاستشار عمر أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) فأشار بعضهم أن ليس عليك شئ إنما أنت وال مؤدب وصمت علي فأقبل عليه عمر فقال: ما تقول يا أبا الحسن ؟ فقال: إن كانوا قالوا برأيهم فقد اخطأ رأيهم وإن قالو في هواك فلم ينصحوا لك، إن ديتك عليك لأنك أفرعتها فألقته فقال :عمر

¹ كيف يؤثر الحزن على الجسم البشري ؟ وهل تأثير الحزن دائم ؟ رقية شتيوي 28 أغسطس 2017 ts3a.com .

² منح الجليل شرح مختصر خليل محمد بن أحمد بن محمد عليش، أبو عبد الله المالكي (المتوفى: 1299هـ)، دار الفكر - بيروت سنة 1409 هـ / 1989م، ج9ص 98.

أقسمت عليك لا تبرح حتى تقسمها على قومك¹. وهوما يسمى بالصدمة النفسية الشديدة².

الدوافع الاجتماعية والاقتصادية : والتي ترجع في مجملها للحياة الاجتماعية والاقتصادية المادية للأفراد كالخشية من الفقر، أو مشقة التربية أو العجز عن توفير متطلبات الحياة المريحة ، أو عدم وجود مسكن عائلي مستقر أو الاكتفاء بعدد معين لعمل المرأة أو انشغالها بالتعليم وغيره أو تكون أنثى وهم يرغبون في الذكر.

السبل الوقائية :

- ترسيخ في قلب المؤمن أن الله هو الرازق المعطي المانع: (وَلَا تَقْنُتُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ)³.

- ايجاب النفقة بين الأقارب .

-تشريع الزكاة والصدقة لهم ، وتحريم كل كسب حرام والحث على الكسب الحلال مهما كان بسيطاً.

-الحث على التعاون والتكافل بين أفراد المجتمع المسلم ... لذلك قرر مجلس هيئة كبار العلماء ، وفي مجمع الفقه الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي "لا يجوز إسقاط الحمل في مختلف مراحلها إلا لمبرر شرعي، وفي حدود ضيقة جداً؛ حتى في طور الأربعين لا بد من مبرر شرعي، وأما إسقاط الحمل؛ خشية المشقة في تربية الأولاد، أو العجز عن تكاليف معيشتهم، أو الاكتفاء بما لدى الزوجين من أولاد، فهذا لا يعتبر مبرراً شرعياً، فيكون الإسقاط لأجل هذا الغرض غير جائز، وقد نص على هذا في قرار الهيئة أن الإسقاط خشية المشقة في تربية الأولاد أو العجز عن تكاليفهم أو الاكتفاء بما لدى الزوجين من أولاد أنه غير جائز ولو كان في طور الأربعين الأولى"⁴.

السبل العلاجية الخاصة : اعتبار اسقاط الجنين لتلك الأسباب الواهية جناية يعاقب عليها مرتكبها ليكون عبرة لغيره إضافة للعقاب الأخرى .

دوافع أخلاقية : وذلك يكون في الغالب نتيجة الحمل بعد ممارسة الفعل المحرم فتكون النتيجة هي الاجهاض للتستر على الجريمة وخوفا من العار.

¹ - إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل تأليف محمد ناصر الدين الألباني ، الطبعة الثانية 1405 هـ - 1985م المكتب الإسلامي بيروت، ج 7 ص 318.

² مشكلة الإجهاض دراسة طبية فقهية . ، محمد علي البار ، الدار السعودية ، الطبعة الأولى 1405 هـ - 1985م، ص 14.

³ الأنعام : 151.

⁴ الفقه الميسر، ج12 ص 110.

السبل الوقائية الخاصة : اهتم الإسلام كثيرا بالجانب الأخلاقي للفرد باعتباره الحافظ من الوقوع في الرذائل فقال - صلى الله عليه وسلم - : "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"¹ وقال عليه الصلاة والسلام: (إن خياركم أحاسنكم أخلاقا)² كما قال عليه الصلاة والسلام :.... "إِذَا لَمْ تَسْتَحْ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ"³. ذلك : "أن صلاح أفعال الإنسان بصلاح أخلاقه لأنّ الفرع بأصله، إذا صلح الأصل صلح الفرع وإذا فسد الأصل فسد الفرع، والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا، ولهذا كان النهج السليم في إصلاح الناس وتقويم سلوكهم وتيسير سبل الحياة الطيبة لهم أن يبدأ المصلحون بإصلاح النفوس وتركيتها وغرس معاني الأخلاق الجيدة فيها ولهذا أكد الإسلام على صلاح النفوس وبين أن تغيير أحوال الناس من سعادة وشقاء ويسر وعسر ورخاء وضيق وطمأنينة وقلق وعز وذل كل ذلك ونحوه تبع لتغيير ما بأنفسهم من معان وصفات قال تعالى: (... إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ"⁴...⁵.

ومن ثم جاءت كثير من التشريعات الأخلاقية والتي لها دور كبير في الابتعاد عن الرذائل وعلى رأسها جريمة الزنا و الاغتصاب والتي في الغالب نتائجها هي جريمة الإجهاض منها مايلي :-

وجوب غض البصر عن المحرمات سواء كان ذلك مباشرة أو عن طريق وسائل التواصل الاجتماعي

- تشريع الاستئذان
- منع الاختلاط المحرم
- تحريم العلاقات المحرمة
- تحريم الغناء الفاحش المثير للشهوات
- الإلزام باللباس الشرعي
- الحث على الزواج الشرعي وتيسيره للشباب

وفي كل ذلك ابتعاد عن المثيرات الجنسية التي تؤدي إلى فاحشة الزنا .

-- فتح باب التوبة في حالة الوقوع في الخطأ وعدم معالجة الخطأ بخطأ مثله.

السبل العلاجية الخاصة : اعتبار التعدي على ولد الزنا أو بالاغتصاب بالإجهاض جريمة لا تفرق عن الاجهاض من زواج مشروع، وفي كل ذلك حفظ لحياة الجنين

¹ سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، مكتبة دار الباز - مكة المكرمة ، 1414 - 1994، تحقيق : محمد عبد القادر عطا، ج 10 ص 191.

² الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار ابن كثير ، اليمامة - بيروت الطبعة الثالثة ، 1407 - 1987 تحقيق : د. مصطفى ديب البغا ، ج 5 ص 2245.

³ صحيح البخاري كتاب المناقب باب " إذا لم تستح فاصنع ما شئت " ج 4 ص 177.

⁴ الرعد: 11.

⁵ أصول الدعوة عبد الكريم زيدان ص 79-80.

ومنع للاعتداء عليه لأنه لا ذنب له وقلة من الفقهاء من أجازوا الإسقاط للضرورة وهي خوف قتل الأم خشية العار إن كانت بكرا ، و قبل نفخ الروح ، والزنى بالإكراه يقول البوطي : " ونحن نقول قد تقبل معذرة المرأة التي تريد المحافظة على سمعتها أو التي نخاف أن ينزل بها أهلها عقاب القتل في حكم الشريعة الإسلامية إذا لم تكن عناصر الجريمة متكاملة -في حكم الشريعة الإسلامية - فيما ارتكبه من الفاحشة أو كانت لا تستحق القتل لكونها غير محصنة وذلك كأن تكون مستكرهة ، أو أن يقع الزنى بشبهة نكاح أو تكون غير متزوجة وهي على يقين أنها ستواجه من أهلها عقاب القتل ، ولم يمض على حملها أكثر من أربعين يوماً¹...

- عقوبة الزاني والزانية بالجلد أو الرجم في حالة الإحصان، ليكون كل منهما عبرة لغيره، فنقل هذه الجريمة النكراء والتي في الغالب تؤدي إلى حالات الإجهاض .
دوافع سياسية : ويقصد بها القرارات الدولية التي تفرض تحديد النسل في بعض البلاد مما يؤدي إلى تزايد ظاهر الاجهاض أو الترويج كون الإجهاض حرية شخصية "ينبغي التنبيه إلى أن قضية الإجهاض كانت من الموضوعات التي أثارت نقاشاً ساخناً واعتراضاً على النصوص الواردة ،حولها قبل انعقاد المؤتمر الدولي للسكان والتنمية في القاهرة عام (1415هـ - 1994م) وأثناءه، حيث إن خمسة وثمانين دولة تحدثت عن هذه القضية في المؤتمر (1) بل كانت محل خلاف حتى في الجلسة الختامية للمؤتمر بين الوفود الإسلامية وعدد آخر من الدول وبعض الجمعيات الأهلية من دول إفريقية وآسيوية وأوربية والفاثيكان من جانب، وبين وفود الدول الغربية من جانب آخر ؛ التي أرادت أن تضع تشريعاً دولياً - من خلال هذه المؤتمرات- لانتشار عمليات الإجهاض، واعتبارها وسيلة طبية لتنظيم النسل، والتخلص من الحمل الحرام - أو ما يسمى في نصوص المؤتمر: التخلص من الحمل غير المرغوب فيه - الذي ينتشر في المجتمعات الغربية والمجتمعات غير الإسلامية عموماً²....
السبل الوقائية :

شرع الإسلام التباعد بين الولادات وحرّم تحديد النسل ومنع الاعتداء ولو من الأم نفسها أو الأب لتعلق حق الله تعالى بحق الجنين في الحياة ؛ قال القرافي في الفروق ما نصه: إن حق الله تعالى لا يتمكن العباد من إسقاطه والإبراء منه بل إن ذلك يرجع إلى صاحب

¹ مسألة تحديد النسل وقاية وعلاج ، محمد سعيد رمضان البوطي ، مكتبة الفارابي دمشق سوريا الطبعة الرابعة 1409هـ - 1988م، ص 158-163 عقوبة اغتصاب المرأة وحكم إسقاط الحمل منه في الفقه الإسلامي ، جمال أحمد الكيلاني ، مجلة جامعة الأقصى المجلد 20 العدد 2 يونيو 2016ص156-162.

² قضايا المرأة في المؤتمرات الدولية ج 2 ص 453.

الشرع¹ ويضيف القرافي : حرم الله القتل والجرح صوتاً لمهجة العبد وأعضائه ومنافعها عليه ولو رضي العبد بإسقاط حقه في ذلك لم يعتبر رضاه ولم ينفذ إسقاطه².
-لقد بحث مجلس المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي هذا الموضوع في دورته الثالثة المنعقدة في مكة المكرمة في الفترة من 23 إلى 30 ربيع الآخر سنة 1400 هـ. وبعد المناقشة وتبادل الآراء في ذلك قرر المجلس بالإجماع ما يلي:
" لا يجوز تحديد النسل مطلقاً، ولا يجوز منع الحمل إذا كان القصد من ذلك خشية الإملاق. . . أو كان ذلك لأسباب أخرى غير معتبرة شرعاً، أما تعاطي أسباب منع الحمل أو تأخيرها في حالات فردية لضرر محقق لكون المرأة لا تلد ولادة عادية وتضطّر معها إلى إجراء عملية جراحية لإخراج الجنين فإنه لا مانع من ذلك شرعاً، وهكذا إذا كان تأخيرها لأسباب أخرى شرعية أو صحية يُقرها طبيب مسلم ثقة، بل قد يتعين منع الحمل في حالة ثبوت الضرر المحقق على أمه إذا كان يُخشى على حياتها منه بتقرير مَنْ يُوثق به من الأطباء المسلمين، أما الدعوة إلى تحديد النسل أو منع الحمل بصفة عامة فلا تجوز شرعاً، وأشدُّ من ذلك في الإثم والمنع إلزام الشعوب بذلك وفرضه عليها..."³.

رابعاً: السبل العلاجية عموماً : ويكون في حالة وقوع الفعل مهما كان السبب عدا الحالات الاستثنائية السابقة الذكر - في كل سبب وذلك بتشريع العقوبة الشرعية في حالة الاعتداء على الجنين وهو واجب من واجبات ولي أمر المسلمين لأنه كما قال ابن القيم: "... ولولا عقوبة الجناة والمفسدين لأهلك الناس بعضهم بعضاً وفسد نظام العالم، وصارت حال الدواب والأنعام والوحوش أحسن حالا من حال بني آدم..."⁴.
وقد شرعت عدة عقوبات لجريمة الإجهاض تتناسب مع الاعتداء المرتكب ؛ قال ابن القيم: "ومن المعلوم ببدهائه العقول أنّ التسوية في العقوبات مع تفاوت الجرائم غير مستحسن بل مناف للحكمة والمصلحة فإنّه إن ساوى بينهم في أدنى العقوبات لم تحصل مصلحة الزجر و إن ساوى بينها في أعظمها كان خلاف الرحمة والحكمة إذ لا يليق أن يقتل بالنظرة والقبلة ويقطع بسرقة الحبة والدينار⁵.

¹ الفروق - أنوار البروق في أنواء الفروق ، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي المتوفى: (684هـ) عالم الكتب، ج 2 ص 280.

² المصدر نفسه ج1ص141.

³ قرارات المجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة 59 - 60.

⁴ أعلام الموقعين عن رب العالمين، ج 2 ص 78-79.

⁵ المصدر نفسه، ج 2 ص 79.

والتي تشمل : الغرة الدية القصاص - الكفارة - التعزير على خلاف بين الفقهاء¹ وكل ذلك لاجتثاث الجريمة من جذورها².

في الأخير فإن الشريعة الإسلامية أولت أهمية كبيرة لحياة الجنين وهذا ما يتجلى واضحا في العقوبات المترتبة في حالة الاعتداء عليه، ولو كان من الأم نفسها حتى وجد من قال بالقصاص باعتبارها نفس كغيرها من الأنفس فمن ادعى التخصيص فعليه بالدليل؛ **فان قال قائل:** فما تقولون فيمن تعمدت قتل جنينها وقد تجاوزت مائة ليلة وعشرين ليلة بيقين فقتلته أو تعمد أجنبي قتله في بطنها فقتله فمن قولنا : أن القود واجب في ذلك ولا بد ولا غرة في ذلك حينئذ إلا أن يعفى عنه فتجب الغرة فقط لا نها دية ولا كفارة في ذلك لا نه عمد وانما وجب القود لأنه قاتل نفس مؤمنة عمدا فهو نفس بنفس وأهله بين خيرتين إما القود وإما الدية أو المفادات كما حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن قتل مؤمنا وبالله تعالى التوفيق"³.

خامسا : كيفية تفعيل تلك السبل الشرعية واقعيًا :

- ضرورة تقوية الوازع الديني والضمير الانساني من خلال التربية الصحيحة التي تمنع من الوقوع في المعاصي والجرائم.

- فرض الآداب الإسلامية التي تساهم في عفة الأفراد ومن ثم ابتعادهم عن الرذيلة وكل ما يؤدي إليها .

- الحرص على نشر الوعي بخطورة هذه الجريمة على الفرد والمجتمع من خلال مؤسسات المجتمع الأسرة المسجد الجامعة.

- تفعيل دور المؤسسات الإعلامية على كافة المستويات خاصة المصحات الاستشفائية

- الاستعانة بأخصائيين نفسانيين لمتابعة الحالات النفسية الشديدة للأم الحامل .

- تشديد الرقابة على المؤسسات الاستشفائية العامة والخاصة .

- تنفيذ العقوبات الشرعية المحددة دون رحمة ولا شفقة.

¹ لم أفضل في الخلاف لأن تم تناوله في محور حكم الاجهاض انظر: عقوبة الاجهاض دراسة مقارنة بين الفقه والقانون، ربيع لعور ، مجلة الاجتهاد للدراسات القانونية والاقتصادية ، المركز الجامعي لتا منغست الجزائر ، العدد 2 جوان 2012، ص 111-114 مشكلة الاجهاض دراسة طبية فقهية ، محمد علي البار ، ص 37-61.

² الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت، ج 2 ص 56-63.

³ المحلى ، ابن حزم، دار الفكر بيروت ، ج 11 ص 38

الخاتمة : وتضمنت النتائج الآتية :

- حرصت الشريعة الإسلامية على حفظ حق الحياة للجنين باعتباره نفساً بشرية مكرمة منذ بدء الخلق، وهذا ما يتحلى وازحاً من خلال الكثير من الأحكام الشرعية والتي تعتبر علاج وقائي منها مايلي:

- لا يجوز إسقاط الحمل في مختلف مراحلها إلا لمبرر شرعي، وفي حدود ضيقة جداً.
- إن كان الحمل في الطور الأول، وهي مدة الأربعين، وكان في إسقاطه مصلحة شرعية، أو دفع ضرر متوقع جاز إسقاطه، أما إسقاطه في هذه المدة خشية المشقة في تربية الأولاد، أو خوفاً من العجز عن تكاليف معيشتهم أو تعليمهم، أو من أجل مستقبلهم، أو الاكتفاء بما لدى الزوجين من أولاد أو خشية العار وغيرها... فغير جائز.
- لا يجوز إسقاط الحمل إن كان علقه أو مضغة، إلا إذا قررت لجنة طبية موثوقة أن استمراره خطر على سلامة أمه، بأن يخشى عليها الهلاك من استمراره، جاز إسقاطه بعد استنفاد كافة الوسائل لتلافي تلك الأخطار.

- بعد الطور الثالث، وبعد إكمال أربعة أشهر للحمل، لا يحل إسقاطه حتى يقرر جمع من المختصين الموثوقين أن بقاء الجنين في بطن أمه يسبب موتها، وذلك بعد استنفاد كافة الوسائل لإنقاذ حياته.

- إذا كان الحمل قد بلغ مائة وعشرين يوماً، لا يجوز إسقاطه، ولو كان التشخيص الطبي يفيد أنه مشوه الخلقة، إلا إذا ثبت بتقرير لجنة طبية من الأطباء الثقات المختصين أن بقاء الحمل فيه خطر مؤكد على حياة الأم.

- إذا ثبت ثبوتاً قطعياً بواسطة وسائل الطب الحديثة أن بالجنين عيوباً وراثية خطيرة، لا تتلاءم مع الحياة العامة، وأنها تسري بالوراثة في سلالته، فإنه يجوز إجهاض هذا الجنين بشرط أن يكون ذلك قبل مرور أربعة أشهر على هذا الجنين في بطن أمه.

- في حالة مخالفة تلك الأحكام الشرعية يتولى ولي الأمر تطبيق عقوبة الاجهاض التي تتنوع بحسب طريقة الاعتداء بين الغرة - الدية - الكفارة القصاص التعزير.

- تعددت السبل الوقائية والعلاجية والتي تكمل بعضها بعضاً لتحقيق ذلك. فاعلية هذه السبل مربوطة بالتنفيذ الفعلي لها.

- تزايد هذه الجريمة يجعل المسؤولية مشتركة بين الأفراد والدولة معاً خاصة في ظل التحديات الاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية وغيرها...

مجلة الوفاق الإنمائي الدولي للعلوم الإنسانية

مجلة محكمة نصف سنوية تصدر عن مركز الوفاق الإنمائي الدولي

Wefaq International Development Center SDN.BHD. (1155980)

www.wefaqdev.net

قائمة المصادر والمراجع

- 1- إحياء علوم الدين محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، دار المعرفة - بيروت.
- 2- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل تأليف محمد ناصر الدين الألباني الطبعة الثانية 1405-1985 م المكتب الاسلامي بيروت.
- 3- الأم، دار المعرفة - بيروت سنة 1410 هـ / 1990 م.
- 4- التبيان في تفسير غريب القرآن ، شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري، تحقيق: فتحي أنور الدابولي دار الصحابة للتراث بطنطا - القاهرة، الطبعة الأولى ، 1992.
- 5- تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، 1365 هـ-1946 م.
- 6- الجامع لأحكام القرآن ت القرطبي، تحقيق : هشام سمير البخاري دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة : 1423 هـ/2003
- 7- الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي - العقوبة - دار الفكر العربي، د.ط. د.ت.
- 8- زهرة التفاسير دار الفكر العربي.

مجلة الوفاق الإنمائي الدولي للعلوم الإنسانية

مجلة محكمة نصف سنوية تصدر عن مركز الوفاق الإنمائي الدولي

Wefaq International Development Center SDN.BHD. (1155980)

www.wefaqdev.net

- 9- سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، مكتبة دار الباز مكة المكرمة ، 1414 - 1994 تحقيق : محمد عبد القادر عطا.
- 10- سنن الترمذي، للإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي حقه وصحه عبد الوهاب عبد اللطيف ، دار الفكر للطباعة والنشر .
- 11-العدالة الجنائية ومنع الجريمة محمد الأمين البشري أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، مركز الدراسات والبحوث، الرياض ط 1 سنة (1418هـ، (1997م)
- 12- عقوبة اغتصاب المرأة وحكم إسقاط الحما منه في الفقه الإسلامي ، جمال أحمد الكيلاني، مجلة جامعة الأقصى المجلد 20 العدد 2 يونيو 2016.
- 13- الفروق - أنوار البروق في أنواع الفروق، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي : (المتوفى: 684هـ)، عالم الكتب.
- 14- الفقه الميسر، عبد الله بن محمد الطيار عبد الله بن محمد المطلق، محمد بن إبراهيم الموسى، مدار الوطن للنشر ، الرياض - المملكة العربية السعودية الثانية، 1433 هـ - 2012 م.
- 15- القاموس الفقهي لغة واصطلاحا سعدي أبو جيب، دار الفكر دمشق - سورية، الطبعة الثانية 1408-1988.
- 16- قانون العقوبات ، الصادر سنة 1015م.
- 17- التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – 1997.
- 18-الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار ابن كثير ، اليمامة - بيروت الطبعة الثالثة ، 1407 - 1987، تحقيق : مصطفى ديب البغاء .
- 19-مجلة مجمع الفقه الاسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الاسلامي بجدة: تصدر عن منظمة المؤتمر الاسلامي بجدة.
- 20-المحلى ، ابن حزم ، دار الفكر – بيروت.
- 21-مدى فاعلية عقوبة الحدود في محاربة الجرائم الخطيرة قاسي سي يوسف، رسالة ماجستير، المعهد الوطني العالي لأصول الدين الجزائر سنة (1412هـ 1992م.
- 22-مسألة تحديد النسل وقاية وعلاجاً ، محمد سعيد رمضان البوطي ، مكتبة الفارابي دمشق سوريا الطبعة الرابعة 1409 هـ - 1988م.
- 23-مشكلة الإجهاض دراسة طبية فقهية ، محمد علي البار ، الدار السعودية ، الطبعة الأولى 1405 هـ - 1985م.
- 24-المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي المكتبة العلمية - بيروت.

- 25-منح الجليل شرح مختصر خليل محمد بن أحمد بن محمد بن محمد عيش، أبو عبد الله المالكي(المتوفى: 1299هـ)، دار الفكر - بيروت سنة 1409هـ/1989م.
- 26-الموسوعة الطبية الفقهية أحمد، محمد كنعان ، دار النفائس ، الطبعة الأولى 2000-1420:
- 27-الموسوعة الفقهية الكويتية ، صادر عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت، الطبعة الثانية، دار السلاسل - الكويت.

الإجتهد ودوره في تجديد الفقه الإسلامي عطاء عبد الرحمن الندوي¹

مقدمة

لقد اتفق العلماء الراسخون والمفكرون البارعون والدعاة الإسلاميون على ان الرسول صلي الله عليه وسلم- فتح باب الاجتهد بأحاديثه الكثيرة المشهورة ويكون هذا الباب مفتوحا إلى يوم القيامة، وإن الشيء الذي جرى بيدي الرسول - صلي الله عليه وسلم يكون مكسبا ومربحا للناس كافة، ولأجل ذلك فإننا نرى أن الاجتهد لعب دورا بارزا في تاريخ تدوين الفقه الإسلامي من أول يومه، كما أنه لازم وجزء لا يتجزأ في تاريخ الفقه الإسلامي والشريعة الإسلامية الخالدة أيضا، وهو العامل الوحيد الذي يمكن بواسطته تحليل جميع القضايا العصرية والحاجات البشرية من الفرد والمجتمع، لأن الاجتهد يدل على تحليل تلك المسائل التي ما ذكرت في القرآن الكريم والسنة النبوية، ولكن الله تبارك وتعالى بين أصولا ومبادئ في القرآن لهداية البشر والبشرية إلى يوم القيامة، وإن المجتهد يستطيع أن يقوم بتحليل المسائل الفقهية والقضايا الشرعية باستخدام هذه الأصول والمبادئ، كما أشار إليها الرسول صلي الله عليه وسلم في أحاديثه الكثيرة، وهذه الأحاديث النبوية والأصول الفقهية والمبادئ الأساسية الشرعية ترفع جميع العثرات والعراقيل والحواجز والمعوقات التي تحول في سبيل حل القضايا العصرية والمسائل الجديدة في ضوء القرآن والسنة في هذا العصر الراهن، وإن المجتهد يستطيع أن يستخدم تلك الأصول والمبادئ في حل جميع المسائل الفقهية الجديدة ولقطع مسافته الفقهية وتطبيقها في المجتمع البشري تطبيقا صحيحا في عصرنا الحاضر نظرا لتعاضد التحديات الحديثة والمستجدات الجديدة والمتغيرات الكثيرة باسم التقدم والازدهار في كل ناحية من نواحي الحياة الفردية والجماعية بصورة غير مسبوقة، وفي ضوء هذه الحقائق والأرقام تبرز أهمية الاجتهد لمواجهة هذه المستجدات العصرية والمتغيرات الجديدة حتى يستطيع الناس أن يتمتع بهذه الاختراعات الحديثة مع أنهم لا يتركون قيد أنملة من الشريعة الإسلامية السمحة حيث أن باب الاجتهد مفتوح إلى يوم القيامة، ولا يستطيع أحد أن يغلق هذا الباب الذي فتحه الرسول - صلي الله عليه وسلم إن دل ذلك على شيء فإنه يدل على أن الاجتهد فريضة على علماء الإسلام والمسلمين الراسخين في العلم لحل قضايا الأمة شرقا وغربا شمالا وجنوبا، وفي البحث التالي نريد أن نلقي الضوء على هذا الموضوع القيم بكل دقة

¹ الأستاذ المساعد باللغة العربية، الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ، بنغلاديش.

وأمانة حتى يكون القارئ مطلعاً على المزيد من آراء العلماء البارعين والفقهاء الراسخين في هذا الموضوع الدقيق.

الاجتهاد في اللغة وهو مشتق من مادة جهد، وله معاني كثيرة كتبها المؤرخون الكبار والمحققون الماهرون والفقهاء البارعون كلمة "الاجتهاد" بذل الجهود المتواصلة القيمة "بذل الجهد في استنباط الأحكام من أدلتها بالنظر المؤدي إليها" وكما كتب صاحب لسان العرب: جهد في الأمر "جد وطلب حتى وصل إلى الغاية"² ومن هنا نرى في القرآن [وأقسموا بالله جهد أيمانهم]³ وفي القاموس المحيط: "الجهد" بفتح الجيم الطاقة والجهد وبضم الجيم المشقة⁴ اجتهد في الأمر: بذل وسعه وطاقته ليلبغ مجهوده ويصل إلى نهايته⁵ فالاجتهاد افتعال من الجهد وهو بذل الوسع والطاقة وحمل المشقة في طلب أمر ما⁶ ومع هذه المعاني كلها يقول الدكتور وهبة الزحيلي في تعريف الاجتهاد "عبارة عن بذل المجهود واستفراغ الوسع في تحقيق أمر من الأمور، ويستعمل إلا فيما فيه كلفة ومشقة فيقال: اجتهد في حمل حجر الرحي ولا يقال: اجتهد في حمل خردلة أونواه"⁷.

أما الاجتهاد في الاصطلاح فقد عبر عنه العلماء بعبارات متعددة منها قول الجرجاني "هو استفراغ الفقيه الوسع ليحصل له ظن بحكم شرعي"⁸ وأضاف الإمام الأمدي قائلاً: "هو استفراغ الوسع في طلب الظن بشيء من الأحكام الشرعية على وجه يحس من النفس العجز عن المزيد فيه"⁹ وقال الإمام الشوكاني في كتابه المشهور إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق في علم الأصول: "هو بذل الوسع في نيل حكم شرعي عملي بطريق الاستنباط"¹⁰ ولتحقيق مقاصد الشريعة يجب على المجتهدين وفقهاء الإسلام أن يبذلوا جهودهم المتواصلة نحو الأنحاء التالية كما جاء في كتاب "مقاصد الشريعة الإسلامية" للعلامة محمد طاهر بن عاشور:

² ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم لسان العرب، بيروت، دار إحياء التراث العربي ط 1412 هـ / ج 2 ص 395-397.

³ سورة المائدة، رقم الآية 53 والأنعام الآية : 109 و النور، رقم الآية 53 سورة فاطر، رقم الآية: 42.

⁴ الفيروزآبادي، مجد الدين ، القاموس المحيط ، ط - 1412 هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص 351.

⁵ الفيومي، أحمد بن محمد المقرئ، المصباح المنير في غريب شرح الكبير، ط مكتبة لبنان، بيروت، ص 44.

⁶ معلوف، الأب، المنجد في اللغة والأعلام، طدار المشرق، بيروت، ص 106.

⁷ الزحيلي، د. وهبة، أصول الفقه الإسلامي، 1998م، دار الفكر بدمشق، ج / 2 ص 1064.

⁸ الجرجاني، الشريف علي بن محمد، كتاب التعريفات، ط1408 هـ، دار الكتب، بيروت، ص 10.

⁹ الأمدي، سيف الدين علي ابن أبي علي بن محمد، الإحكام في أصول الأحكام، مطبعة محمد علي صبيح و أولاده، القاهرة، ج / 3 ص - 162.

¹⁰ الشوكاني، محمد بن علي، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق في علم الأصول ، ط - 1938 م، مصطفى حلي، القاهرة، ص 250.

النحو الأول: فهم أقوالها، واستفادة مدلولات تلك الأقوال، بحسب الاستعمال اللغوي، وبحسب النقل الشرعي بالقواعد اللفظية التي بها عمل الاستدلال الفقهي، وقد تكفل بمعظمه علم أصول الفقه.

النحو الثاني: البحث عما يعارض الأدلة التي لاحت للمجتهد، والتي استكمل أعمال نظره في استفادة مدلولاتها ليستيقن أن تلك الأدلة سالمة مما يبطل دلالتها ويقضي عليها بالإلغاء والتنقيح.

النحو الثالث: قياس ما لم يرد حكمه في أقوال الشارع على حكم ما ورد حكمه فيه، بعد أن تعرف علل التشريعات الثابتة بطريق من طرق مسالك العلة المبينة في أصول الفقه.

النحو الرابع: إعطاء حكم لفعل أو حادث للناس لا يعرف حكمه فيما لاح للمجتهدين من أدلة الشريعة، ولا له نظير ويقاس عليه.

النحو الخامس: تلقي بعض أحكام الشريعة الثابتة عنده تلقي من لم يعرف علل أحكامها ولا حكمة الشريعة في تشريعها، فهو يتهم نفسه بالقصور عن إدراك حكمة الشارع منها، ويستضعف علمه في جنب سعة الشريعة، فيسمى هذا النوع بالتعبدى¹¹.

فإننا نستطيع أن ندرك حقيقة الاجتهاد وشروطه في ضوء الأنحاء المذكورة كل الإدراك ونقول بكل صراحة إن الشريعة الإسلامية ألفت مسؤولية الاجتهاد على عاتق العلماء الراسخين في العلوم الشرعية والفقهاء البارعين والماهرين لحل القضايا المعاصرة والمسائل الفقهية العصرية بالعدل والإنصاف والدقة والأمانة تحت شروط هامة فلا يستطيع أحد من عامة الناس وخاصتهم أن يجتهد في المسألة الفقهية والشريعة الربانية إلا من يوجد لديه الشروط الفقهية التي قيدها الفقهاء والعلماء الذين يخافون الله في كل أمر من الأمور وفي كل شأن من الشؤون مع الخبرة والمهارة والبراعة والأمانة، ويؤمنون بهذه الآيات القرآنية التالية كامل الإيمان {والله يعلم ما تسرون وما تعلنون} و{ويعلم ما تخفون وما تعلنون} و{والله يعلم ما تبون وما تكتمون}¹² ويعرفون الأحكام الإسلامية والشريعة الربانية حق المعرفة مع العلوم الإسلامية بالبراعة والمهارة ويؤمنون بها إيماناً كاملاً كشريعة سماوية ربانية خالدة إلى يوم القيامة لصالح البشر والبشرية، وتنسجم هذه الشريعة في كل عصر ومصر وفي كل زمان ومكان كل الانسجام، لأن الاجتهاد لا يدور إلا حول الشروط الفقهية والقوانين الإسلامية وينسجم مع أصول القرآن الكريم ومبادئ السنة النبوية المطهرة، وإن القرآن الكريم يشير إلى

¹¹ ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق ودراسة محمد طاهر الميساوي، الطبعة الثانية، 1421هـ.

2001م، طبع دار النفاس، الأردن، ص 183-184.

¹² سورة النحل، رقم الآية 19 و سورة النمل، رقم الآية 25 و سورة النور، رقم الآية: 29.

حقيقة الاجتهاد وإلى كفاءات المجتهدين الذين يجتهدون في الشريعة الإسلامية بلسانه الخالد للأجيال القادمة بهذه الآية القرآنية {فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون}¹³ وفي ضوء هذه الآية القرآنية وصف علماء الإسلام الاجتهادات الفقهية بأنها كنوز فكرية تبرز الأفكار الإسلامية الصحيحة في كل العصور والأزمان، ولذلك يقول الدكتور حسن أحمد مرعي: " الاجتهاد، نرى أنه ضرورة لازمة لنا أكثر من أي وقت مضى فالحوادث متجددة والمصالح متشابكة، سواء كانت هذه مصالح أفراد أو مصالح دولة أو مصالح دول لا بد من تطبيق الشريعة عليها ولا بد من النظر إليها في إطار هذه الشريعة السمة التي جاءت بمراعاة مصالح الخلق يلاحظ ذلك من ورودها متدرجة الأخف إلى الأصعب حتى يسهل على الناس التزامها ولو نزل أول ما نزل لا تشربوا الخمر ما تركوا شربه أبدا"¹⁴.

وكذلك كتب صاحب الكتاب " مقاصد الشريعة الإسلامية " فالاجتهاد فرض كفاية على الأمة بمقدار حاجة أقطارها وأحوالها. وقد أثمرت الأمة بالتفريط فيه مع الاستطاع ومكنا الأسباب والآلات¹⁵ وقد اتفق العلماء على أنه مما يشمل الأمر في قوله تعالى {فاتقوا الله ما استطعتم}¹⁶ وقوله تعالى: {فاعتبروا يا أولي الأبصار}¹⁷ أن الأصل في الاجتهاد هو الالتقاء على الثوابت والأصول والمحكمات وجواز الاختلافات في الأمور الشرعية وإلقاء النظر في المسألة الفقهية من جديد في أحكام الشريعة كلها حيناً وجزئياتها حيناً آخر وفقاً لمقتضيات العصر والمصر والظروف والأحوال حيث أن تعدد الاجتهاد سنة من سنن المصطفى صلي الله عليه وسلم وشريعته الخالدة وحقيقة أبدية لمصالح البشر والبشرية في كل مجال من مجالات الحياة الفردية والجماعية، ولذلك فلا يكون الاختلاف عيباً ونقماً لدى علماء الشريعة إلا في أمرين:

الأول: أن يكون الاختلاف في القطعيات التي رائجة في المجتمع المعمول بها في الشريعة.

الثاني: التعصب الذي يذهب بالناس إلى شيع وأحزاب والتفريق والتشتيت الذي يمزق سياج الأخوة الإيمانية والمواساة الإسلامية والمساواة الاجتماعية شر ممزق حتى يفرق الناس إلى شيع مختلفة وأحزاب متعددة بعيدة عن التعاون بين الناس والتنسيق في

¹³ سورة التوبة، رقم الآية 122.

¹⁴ مرعي د / حسن أحمد، الاجتهاد في الشريعة الإسلامية ، ط 1404 هـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ص 155.

¹⁵ ابن عاشور ، محمد الطاهر بن محمد ، المرجع السابق: ص 408.

¹⁶ سورة التغابن رقم الآية 16.

¹⁷ سورة الحشر رقم الآية 2.

الإجماع، وتكون هذه الآية القرآنية {وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان} ¹⁸ نسيا منسيا لدى أهلها.

وفي ضوء هذه الحقائق والأرقام فإننا نرى كثيرا من علماء الفرق الدينية كما نرى زعماء الأحزاب السياسية لا يعدو ما يكون بينهم من اختلاف وعجيج ولم ينج أحد من الأئمة والفقهاء من داء الجدل والخلافات في الأحكام الشرعية كما يختلف الزعماء السياسيون في الأمور السياسية، وعلى الرغم من ذلك كله فإننا نجد فائدة كثيرة في إثارة هذه الخلافات والجدل والنزاعات والعجيج حيث أن الجدل في المسألة الفقهية ينتج مولودا فكريا ويمهد السبيل للإسلام والمسلمين إلى المستقبل الأفضل ويفسح المجال للشريعة الإسلامية في هذا العصر الراهن من جديد، إن دل ذلك على شيء فإنه يدل على أن المقبول من تعدد الاجتهادات هو ليس من داخل الإطار الإسلامي فقط بل من الأصول الثابتة بجميع الشروط والقيود من الكتاب والسنة والإجماع كذلك.

وقد رأينا توجيهات قيمة عن الاجتهاد في الحديث النبوي الشريف لما أرسل صاحبه الجليل معاذ بن جبل -رضي الله عنه- أميرا إلى اليمن، حيث قال الرسول صلي الله عليه وسلم عند إرساله قولاً تاريخياً سجله التاريخ بمداد من الذهب، وقد سأله الرسول -صلي الله عليه وسلم- عند ذهابه إلى اليمن، كيف تحكم على أهل اليمن؟ وكيف تقوم بقضاء حاجات الناس فيها؟ فأجابه معاذ رضي الله عنه بكل هدوء وطمأنينة: أقضي حاجاتهم في ضوء القرآن، ثم سأله الرسول صلي الله عليه وسلم إن لم تجد الحل عن المسألة المتعلقة في القرآن فماذا تفعل؟ فقال بالراحة والاستقرار أحكم بالسنة فقال: إن لم تجد في السنة أيضا ثم ماذا تفعل؟ فقال: أجتهد برأيي، لما سمع الرسول صلي الله عليه وسلم هذا الجواب من معاذ بن جبل وإدراكه عن الشريعة الإسلامية وأغراضها كل الإدراك فرح فرحا شديدا، ثم شكر الله شكرا عظيما، وقد نقل هذه الواقعة التاريخية ابن كثير في تفسيره "ولذلك يجب علينا أن نطلب تفسير القرآن فإن لم نجد فمن السنة، كما قال الرسول صلي الله عليه وسلم لمعاذ حين بعثه إلى اليمن " فبم تحكم؟ قال بكتاب الله قال فإن لم تجد؟ قال: بسنة رسول الله، قال: فإن لم تجد؟ قال: أجتهد برأيي قال فضرب رسول الله صلي الله عليه وسلم في صدره، وقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله يرضي رسول الله" ¹⁹.

وإن دل ذلك على شيء فإنه يدل على أن الاجتهاد مؤيد وثابت بالقرآن والسنة، فلا مجال للريب والشك في الاجتهاد مع تغيير الزمان والمكان وباسم تقدم عصر ومصر

¹⁸ سورة المائدة، رقم الآية : 5.

¹⁹ ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم، دار المفيد، بيروت، لبنان، ج 1 ص 4.

وازدهار الحضارة والثقافة مهما ارتفعت وتقدمت باستخدام الاصطلاحات الحديثة والكلمات الجميلة والتهافتات المثيرة مثل العولمة وتشبه العالم بالقرية الصغيرة وتقسيم العالم إلى العالم المتقدم حيناً والعالم المتخلف حيناً آخر وتميزه بأسماء مختلفة من الدول الراقية تارة والدول النامية تارة أخرى وأخيراً تدفع بعضها إلى العالم الثالث كذلك، ومع ذلك كله قد أصاب الناس بالأدواء الخلقية، وقد عم هذا المرض في الأفراد والأشخاص والشعوب والأمم والقبائل والمجتمعات من الصغار إلى الكبار ومن الرجال إلى النساء ومن الحاكم والمحكوم والرئيس والمرؤس حتى تصارعهم شهوات المال والحكم والمتاع والعزة الرخيصة، ولأجل ذلك أضاف الدكتور حسن أحمد مرعي في كتابه قائلاً: "ولا شك أن مؤونة الاجتهاد أخف مما كانت عليه في عصر سلفنا الصالح، فإن العلوم قد دونت وكثرت الكتب المختلفة التي تعبر عن اتجاهات متعددة، فلينظر علماء أمتنا فيما يحقق الخير والمصلحة لهذه الأمة في ظل هذه الشريعة الخالدة العامة، وبهذا نجعل صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان ومن المسلم عند علمائنا أن الفتاوى تتغير بحسب الأمكنة والأحوال والعوائد"²⁰.

فلا حرج في تفاوت الاجتهادات إذا لم يجد الحل في المسألة، وأما إذا أدى هذا التفاوت إلى النزاعات والجدل دون إقامة الأمن والسلام في المجتمع والبعد عن الحقائق القاطعة والبراهين الساطعة والاستطالة على أهل الحق والرضاء بالفرع على حساب الأصل والجزئيات على الكليات والاستغراق في النزاعات الذاتية التي تهدم قوى الأمة شرقاً وغرباً وتتفاخر بها القلوب وتتنافر بها الأرواح فهذه الاجتهادات من جنس التفرق المذموم الذي يذهب بالأمة إلى دار البوار، ولأجل ذلك فإن القرآن الكريم منع عن مثل هذه الخلافات بلسانه الخالد، كما أشار القرآن إلى هذا الأمر {ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم}²¹.

أقسام الاجتهاد: إن الشريعة الإسلامية قامت بتوجيهات قاطعة بالبراهين الساطعة عن جميع القضايا البشرية وعن المسائل الفردية والجماعية على الصعيد الدولي في حياة البشر، وإن الذين يتبعون الشريعة الإسلامية في حياتهم الفردية الجماعية فإنهم يعرفون هذه الأحكام الإسلامية بالدلائل الواضحة والبراهين الساطعة حيناً أم بالإشارة والرمز المتعلق بالدلائل والبراهين حيناً آخر، ومن هنا انقسم العلماء الاجتهاد إلى ثلاثة أقسام :

الأول: الاجتهاد البياني وذلك لبيان الأحكام الشرعية من نصوص الشارح .

²⁰ مرعي د / حسن أحمد المرجع السابق، ص 155.

²¹ سورة الأنفال، رقم الآية: 46.

الثاني: الاجتهاد القياسي وذلك لوضع الأحكام الشرعية للوقائع الحادثة مما ليس فيها كتاب ولا سنة، بالقياس على ما في نصوص الشارح من أحكام .

الثالث: الاجتهاد الاستصلاحي وذلك لوضع الأحكام الشرعية أيضا للوقائع الحادثة مما ليس فيها كتاب ولا سنة، بالرأي المبني على قاعدة الاستصلاح²² ويقول علماء العصر الحاضر برعاية هذه الأقسام المذكورة إن الاجتهاد فرض وضروري في عصرنا الراهن، وعلى رأسهم الدكتور يوسف القرضاوي وهو يقول : الاجتهاد فريضة وضرورة فريضة يوجبها الدين ويحتمها الواقع، فالدين يوجب على الأمة أن يكون فيها مجتهدون ليحلوا مشاكلها في ضوء معطيات الشريعة .

الاجتهاد فرض كفاية على الأمة فإذا كان في الأمة عدد كاف من المجتهدين يلبي حاجاتها ويحل مشكلاتها فقد نجت الأمة من الإثم، وإلا أثمت الأمة جميعها هذا ما يوجبه الدين وأما ما يُحتمه الواقع، فنحن نرى أن الحياة قد تغيرت والدنيا قد تطورت ويمكن أن يظل القديم على قدمه، ولم يعد ينفع أن نقول: ليس في الإمكان أبدع مما كان، وما ترك الأول للأخر شيئا²³.

وإننا نجد قول الرسول -صلي الله عليه وسلم- في هذه المناسبة قولاً تاريخياً حيث قال: "إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الأمة دينها"²⁴ وهذا الرجل الذي يكون جميع أعماله وأنشطته نابع من الإيمان بالله تبارك وتعالى وإظهار الحب في الله والبغض لله وحرص على تنفيذ أوامر الله وشريعته الغراء في كل لمحة من اللمحات وفي كل لحظة من اللحظات بين الناس في العالم كله.

ويدل هذا الحديث النبوي الشريف على أن الاجتهاد هو الطاقة الدافعة والحركية الفاعلة يستطيع العلماء والفقهاء أن يواكبوا تطورات الحياة وتقلبات الزمان ويستجيبوا جواباً شافياً للتحديات العصرية والنظريات الجديدة ويزيلوا الإشكاليات الحديثة والفلسفات الجديدة والأنظمة الكثيرة التي تتمخص بها الحضارات والثقافات المادية اليوم بإزاء ذلك المنهج الذي ليس من نتاج تلك العبقريات المزعومة والأفكار البشرية التي تواجهها الأمة الإسلامية من مشارق الأرض ومغاربها في هذه الأعوام الأخيرة في كل مجال من مجالات الحياة الفردية والجماعية .

والإجتهد الإنتقائي: إن الأمة الإسلامية قد ورثت فقهاً ضخماً وتركته كبيرة لا توجد لدى شعب من الشعوب وأمة من الأمم وقبيلة من القبائل منذ يومها الأول، وإذا درسنا المذاهب الأربعة والمكتنبات الإسلامية التي است في حرم المدارس الدينية والجامعات

²² الدواليبي ، د . معروف، المدخل إلى علم أصول الفقه، الطبعة الثالثة، مطبعة دمشق، ط - 1959 ص 75- 389 ، الزحيلي، د. وهبة، الفقه الإسلامي وأدلته، ج 2 ص 1069.

²³ جريدة العالم الإسلامي ، العدد : 1885 الإثنين 9 ربيع الأول 1426 هـ 18 إبريل 2005 م.

²⁴ أبو داود ج 1 ص 127.

الإسلامية نجدها مليئة بالثروة الفقهية القيمة، وهذه نعمة من نعم الله تبارك وتعالى على الأمة المحمدية، ومنة كبيرة لا تساويها منة و نعمة، فلا مجال لأحد أن يضيق مجال الاجتهاد بتعدد الآراء بين الفقهاء والعلماء، وهذه الثروة قادرة على مواجهة جميع التطورات والأفكار والنظرات فلا حاجة لدين الله الخالد إلى الاستعانة بهذه الأفكار، حيث يكون رأي يصلح البيئة والمجتمع ولا يصلح في مكان وزمان، ويصلح في عصر ولا يصلح في مصر، ويصلح لشعب ولا يصلح لأمة، وعلى الرغم من ذلك كله لا يستطيع أحد من أبناء الأمة أن يقول: إن الإسلام لا يستغني عن الإفادة من الفلسفات الجديدة والنظرات الحديثة في العصر الراهن والمجتمعات المتطورة المتغيرة التي تتغلب على مسار الحياة الإنسانية ومرافقها المتجددة.

الاجتهاد الإنشائي: ويكون هذا الاجتهاد في المسألة الجديدة لأن العصر الراهن عصر الاختراعات الحديثة وعصر الماكينات الجديدة التي تمهد السبيل إلى التقدم والازدهار وإلى التنمية والرقى، فلذلك قد بآء هذا العصر بألوف من المسائل الجديدة وقضايا الحياة والموت وتوطيد العلاقات الدولية والعالمية من القضايا الاجتماعية والبنوكية والسياسية في ضوء الأحداث العالمية والمسائل الدولية في ضوء الأدلة المعتمدة والمعايير الشرعية التي موجودة لدى الأمة الإسلامية كذلك.

الاجتهاد الجماعي: إذا كان الاجتهاد جماعياً يخرج منه الإنتاج ويصل زوارق الحياة وقوارب النجاح إلى شاطئ البحر بكل سلامة، فتكون آراء الفقهاء عصماً عن الزلل وصيانة عن الزيغ، وهذا هو الباب الذي يدخل به إجماعي قطعي في القضايا العامة، فلا يخلو أن يكون إجماع العلماء والفقهاء على رأي واحد في مسألة واحدة، وإن دعوة إجراء هذه الأقسام المذكورة في المجتمعات الإسلامية ليست جديدة وحديثة، وقد اجتمع العلماء والفقهاء في ساحة واحدة منذ زمان، وبدؤوا يفكرون عنها بكل دقة وأمانة. وهذه الفكرة لا تدل على أن الاجتهاد الفردي ممنوع لديهم، فإننا لا نريد أن نضيق مجال الاجتهاد الفردي بتقديم هذه الأفكار لأننا سمعنا قول رسولنا الأكرم أنه قال: " إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر"²⁵ وهذا معلوم لدى جميع الناس. وهذه الأقسام المذكورة نستطيع أن نبين بياناً واضحاً بالعبارات التالية:

الأولى: يكون الاجتهاد بالفكرة العميقة لتحليل تلك المسائل التي لا توجد عنها الحل الواضح في الدلائل الشرعية وحينئذ يكون الاجتهاد لازماً حتى يكون الحل في تحليل هذه المشاكل والقضايا، وهنا يكون الاجتهاد حول الدلائل الشرعية وأصولها القيمة ومبادئها الأساسية، وإن المجتهد يدرس معاني الدلائل الشرعية كلها دراسة بالفراسة

²⁵ أخرجه البخاري ومسلم وأحمد وأصحاب السنن إلا الترمذي وهو حديث متواتر المعنى : جامع الأصول، ج 10 ص 412.

والبصيرة ويناقشها مناقشة عميقة بكل دقة وأمانة وبتوجيهات الاجتماع الشاملة من الأئمة وفقهاء الأمة حتى أنه يفضل معنى على المعاني الأخرى، وإذا كان الخلاف بين الدلائل فإنه يؤثر دليلاً على الدلائل الأخرى، ويحل المسائل في ضوء دليل واحد من الدلائل الموجودة.

الثانية: إذا ما وجد الدليل أو الإجماع في تحليل المسائل فالمجتهد يجتهد ببذل كل ما في سعته من المعرفة والخبرة وفي ضوء علومه الشرعية ويقوم بأفضل بحث وأدق دراسة عن أغراض الشريعة، حتى أنه يخرج فائزاً في إعداد حكم شرعي لحل المشاكل التي يواجهها الناس في المجتمع، ولا يكون هذا إلا في ضوء الإشارة الشرعية ويقال: إنه اجتهد بالرأي.

الثالثة: إذا لم يستطع القياس والاستحسان أن يقوموا بالحكم الشرعي فحينئذ يكون الاجتهاد الكامل مع انسجام القوانين الربانية والأحكام الشرعية لإخراج الحكم الشرعي اعتباراً على حديث عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله -صلي الله عليه وسلم- يقول: "إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر"²⁶. ولكن إذا ألقينا النظر في الكتب الفقهية فوجدنا الإمام الشافعي يفسر الاجتهاد بمعنى الاستنباط على القياس على أمر ورد في الكتاب أو السنة، فقد سأله سائل: فما القياس؟ أهو الاجتهاد؟ أم هما متفارقان؟ فأجابهما اسمان لمعنى واحد"²⁷.

مجال الاجتهاد: ومما يجدر بالذكر إن الاجتهاد له معاني كثيرة لدى العلماء الأصوليين وقد عبر عنه الإمام الجرجاني "هو استفراغ الفقه الواسع ليحصل له ظن بحكم شرعي"²⁸ ولكننا نرى الاختلاف في هذا الاصطلاح بين العلماء الأصوليين، كما حذفنا الكلمة "ليحصل" لدى الإمام ابن الحاجب²⁹ وحذفنا الكلمة شرعي لدى الإمام السبكي، لأن الحكم يغني عن كلمة "شرعي" عنده³⁰ الاجتهاد ويكون في تلك المسائل التي لا يوجد حلها بوجود الدلائل الشرعية في القرآن والسنة ولا توجد البراهين القاطعة لحل هذه القضايا الاجتماعية والمسائل الشرعية وكذلك لا يوجد إجماع الأمة، حتى لا يثور الخلاف والاختلاف بين العلماء وفقهاء ولأجل ذلك يكون الاجتهاد فيه كما حدد الإمام الغزالي "المجتهد فيه بأنه هو كل حكم شرعي ليس فيه دليل قطعي"³¹.

²⁶ المصدر السابق ج 10 ص 548 ، جمع الفوائد ج 1 ص 683 ، مجمع الزوائد، ج 4 ، ص 195.

²⁷ الإمام الشافعي، الرسالة، مطبعة الحلبي، الطبعة الأولى ، ص 477.

²⁸ الجرجاني، الشريف علي بن محمد، كتاب التعريفات، ط 1408 هـ، دار الكتب العلمية، بيروت ص 10 .

²⁹ ابن الحاجب، جمال الدين أبو عمر عثمان بن عمر بن أبي بكر، مختصر المنتهي، ط 132 هـ دار الكتب العلمية، بيروت، ص 19.

³⁰ السبكي، جمع الجوامع مع شرح المحطى ، بيروت، ج 2 ص 389.

³¹ الغزالي، أبو حامد، المستصفى من علم الأصول، المطبعة الأميرية، مصر ج 2 - 103.

وبعد هذه العبارة نقول: فلا مجال للاجتهاد في وجوب الصلوات الخمس والزكاة والصيام والحج والشهادتين وتحريم ارتكاب الزنا وشرب الخمر والقتل الذي ثبت بالنص القطعي، وفي مجال الاجتهاد إن العلماء الأصوليين ينقسمون الاجتهاد إلى قسمين:

الأول: ما لا يجوز الاجتهاد فيه: فهو الأحكام المعلومة من الدين بالضرورة والبداية أو التي ثبتت بدليل قطعي الثبوت و قطعي الدلالة.

الثاني: ما يجوز الاجتهاد فيه: فهي الأحكام التي ورد فيها نص ظني الثبوت والدلالة، أو ظني أحدهما، والأحكام التي لم يرد فيها نص ولا إجماع³².

وبدون الاجتهاد لا يكون الحل العادل والصرط المستقيم للخروج من المشاكل والقضايا والصعوبات والحواجز والسدود والمعوقات التي تواجهها الأمة الإسلامية في الحياة الفردية والجماعية في المجتمعات الإنسانية الراهنة، وإن الخلاف في تعيين حكم شرعي بين العلماء والفقهاء أمر لازم بل اختلاف العلماء رحمة كما يعبرها العلماء، وليس من اللازم أن يكون الاتفاق وإجماع المجتهدين على رأي واحد ويمكن أن يكون الخلاف بينهم حتى اخترق المجتهد بكل حرية هذه الحواجز ويفسح المجال ويقوم بتجربة المنهج الإسلامي في جدية وثقة ودوافع إيجابية بناءة للإسلام والشريعة الإسلامية، فحينئذ تصل أهمية الاجتهاد إلى أعماق القلوب والأرواح في كل مكان على جميع المستويات، وهذا معروف لدى عامة الناس وخاصتهم من له إلمام في الأحكام الشرعية والشريعة الإسلامية، ولذلك فإن الاجتهاد فعل كبير وفعل لازم وأمر حتمي في مجال الفقه الإسلامي وبين الفقهاء والعلماء وتستنبت المسائل والأحكام من الاجتهاد.

ولذلك فإن حاجة الاجتهاد حاجة دائمة في كل عصر ومصر وفي كل زمان ومكان، خاصة في هذا القرن الذي يقال عنه أنه قرن العلوم الحديثة والتكنولوجيا البديعة والاختراعات الجديدة التي يعانيتها جميع الشعوب والأمم، و أزمت عالمية من ألوان التناقضات والاختلالات لا على الساحة الفردية والجماعية ولا على مجال الحضارية والثقافية فقط بل في جميع المجالات الفكرية والعقائدية على الصعيد الدولي، ويثور التطرف الفكري والغزو المادي في كل ناحية من نواحي المجتمعات الإسلامية من العالم العربي إلى العالم الإسلامي وفي كل بقعة من بقاع الأرض التي يسكن فيها المسلمون، فتخور صلة الأمة الإسلامية بالأسس الخلقية والقيم الإيمانية التي ترفعها

³² الخلاف عبد الوهاب، علم أصول الفقه ص 257 ، الشعبان أصول الفقه الإسلامي، ص ، 230 الأمدي، سيف الدين علي ابن أبي علي بن محمد، الإحكام في أصول الأحكام، ج 3 ص 140، الزحيلي، أصول الفقه الإسلامي، ج 2، ص 1081.

إلى أسمى درجة ومنزلة مرموقة من الحب والإيثار، حتى تفقد الأحكام الإسلامية وجودها في حين من الدهر، وإذا كان ذلك يكون الناس بعبيدين عن الشريعة في حياتهم اليومية يوماً فيوماً، فتكون حياتهم حياة البهيمة والحيوان، وهذا حرام علينا وعلى المسلمين في العالم كله، وإذا كان الاجتهاد في ضوء هذه الحقائق يخرج المسلم من حطام الدنيا إلى ذلك النوع البشري الذي يسبق الملائكة في الطهر والعفاف، والسمو والعلاء والرفعة والارتفاع، ويضرب أمثلة رائعة ونموذجية حية من الأخلاق العالية والفضائل القيمة التي تتقاصر عنها الحضارات المعاصرة ويعجز عن إدراكها العقل المادي مهما بلغ وارتفع، لأن الشريعة الإسلامية شريعة خالدة مع خلود الدنيا وباقية من بقاء الدنيا، وكلما واجهت هذه الشريعة عداوات ومؤامرات يجب على علمائها أن يجتمعوا في ساحة واحدة لكبح هذه المؤامرات الشنيعة وطاقتها المتفجرة التي تنتسج خيوطها في رابعة النهار حيناً وفي وراء الستار حيناً آخر، وفي السر والعلن تارة وفي النور والظلام تارة أخرى وفي مثل هذه الظروف القاسية التي تتطلب من الأمة الخروج على بكرة أبيها لمقاومة هذه المؤامرات بقوة الإيمان، إذا خرجت الأمة على بكرة أبيها تتحقق وعد الله في الأرض وتنطبق هذه الآية القرآنية على حياة الأمة بكامل معانيها حيث أعلن القرآن مجلجلاً بلسانه الخالد {وعد الله الذين آمنوا منكم و عملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون} ³³.

وإذا كان الاجتهاد في محله وبعناية جميع الشروط والأصول وبكامل معناه وكافة التزامه ومطالبه، وبأحكامه وتشريعاته، وبحلاله وحرامه وقام المجتهد بمجهوداته المتواصلة المخلصة في مجال الشريعة الإسلامية بأساليب، جميلة، وبحكمة دقيقة، وبموعظة حسنة أمر بها حيناً وبالنقاش والمجادلة حيناً آخر فحينئذ إجتاده يمهد السبيل إلى المستقبل الأفضل، فتكون الشريعة الإسلامية شريعة نموذجية بكل ألوانها وبكامل معانيها وتكون مثالية للآخرين الذين يبذلون جهودهم المتواصلة لإخراج العيب والنقص في الشريعة الإسلامية، ويقولون بأعلى صوتهم إن الشريعة الإسلامية قاصرة عن السير في المسيرة الإنسانية الراهنة وتذهب الشريعة بهؤلاء الرجال إلى أجواء علوية مشرقة تغذي قلوبهم وتربط علاقتهم بالرباط السماوي تحت ظلال الإسلام والشريعة الإسلامية وحينئذ تتحقق هذه الآية القرآنية بكامل معناها {ويدخلون في دين الله أفواجا} ³⁴.

³³ سورة النور، رقم الآية 55.

³⁴ سورة النصر، رقم الآية 2.

أوصاف المجتهدين اللازمة وشروط الاجتهاد

لقد اتفق العلماء والفقهاء الراسخون في العلوم الشرعية والشريعة الإسلامية على أن لا يستطيع أحد أن يكون مجتهداً إلا أن يكون حاملاً بالأوصاف التالية، وتوجد لديه هذه الشروط الفقهية اللازمة منها شروط عامة وشروط خاصة ، وأما الشروط العامة فهي ثلاثة:

1- الإسلام -2- التكليف -3- العدالة

وهذه الشروط الثلاثة لازمة للمجتهد، كما قال صاحب البرهان في أصول الفقه "الاجتهاد عبادة والإسلام والتكليف شرط لصحة العبادة وكذلك أن العدالة شرط لقبول فتوى المجتهد والعمل بقوله فلا يقبل فتوى الفاسق ولا يعمل بقوله"³⁵ وأما الشروط الخاصة كما يلي مع أن العلماء قد اختلفوا فيها و هنا نحن نذكر أهمها:

أولاً: أن يكون المجتهد بارعاً وماهراً في علوم القرآن وأن يعرف معاني آيات الأحكام لغة وشرعاً، وأن يكون مطلعاً على أغراض السنة لأنها شارحة للقرآن، ولذلك يجب عليه أن يعرف السنة حسب ما يحتاج إليه عند الاجتهاد، ويعرف أحاديث الأحكام لغة وشرعية، ومطلعاً على شروط وقوانين فقهية لإعداد الأحكام الشرعية وأصولها، لأنه ينوب مناب الرسول صلي الله عليه وسلم وله مكان مرموق لدى المسلمين، وهو وارث الرسول صلي الله عليه وسلم كما قال النبي صلي الله عليه وسلم في حديثه الشريف الموجود في كتب الحديث "العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما وإنما ورثوا العلم"³⁶.

ثانياً: أن يكون المجتهد مطلعاً على أسباب نزول الآيات القرآنية وبيان الأحاديث النبوية الشريفة عامة وعلى آيات الأحكام وفهم مفرداتها وتراكيبها خاصة، وهذا يجب على المجتهد في كل وقت، وأن يعرف الناسخ والمنسوخ من القرآن والسنة، حتى لا يعتمد على المنسوخ المتروك مع وجود الناسخ، وعالماً بالآيات التي تعارض بعضها بعضاً، وبالأحاديث المتواترة ويعرف هذه العلوم اللازمة حق المعرفة حتى يستطيع أن يجتهد في الفقه الإسلامي.

ثالثاً: وأن يكون المجتهد مطلعاً على مسائل الإجماع في المسائل الشرعية والمخالف والآراء المختلفة

بين العلماء والفقهاء في حل المسائل الفقهية والقضايا الاجتماعية من الاقتصادية والأسرية حتى لا يفتى بخلافه ، فلا تكون فتواه مخالفة للإجماع.

³⁵ إمام الحرمين، أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني، البرهان في أصول الفقه، تحقيق عبد العظيم ط1399هـ، مطابع الدوحة، قطر، ج 2 ص 332.

³⁶ العسقلاني ، أحمد بن علي بن حجر ، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج 1 ص 169.

رابعاً: ويعرف المجتهد علل الأحكام وطرق استنباطها والأسباب في الأحكام وأغراضها وجمع معاني الكلمات والاصطلاحات الفقهية معرفة كاملة مع وجوه القياس، لأن القياس قاعدة الاجتهاد.

خامساً: ويعرف المجتهد اللغة العربية الفصحى لغة ونحواً وصرفاً لأن الدلائل الفقهية كلها مكتوبة باللغة العربية وإن الكتاب والسنة أيضاً بالعربية وإن المصدرين الأصليين باللغة العربية وبدون معرفتها وفهمها فهما صحيحا يكون المجتهد قاصراً في أداء واجب المجتهد بإمعان النظر في الكتب الفقهية.

سادساً: وأن يكون المجتهد عاقلاً ومحايداً في استنباط الأحكام والمسائل ويتخلق بالأخلاق الحسنة ويكون بعيداً عن جميع الشكوك ومعاملة السوء في إعداد الأحكام، وإذا وجدت هناك عوامل ذاتية وأغراض نفسية تكون معوقة في سير نحو الغاية فليس يعني ذلك أن الاجتهاد يفقد الروح الإسلامي.

لقد اختلفت عبارات العلماء الأصوليين في تحديد شروط الاجتهاد كما نرى في العبارات التالية:

أ- عبارة الإمام الغزالي هي يشترط في المجتهد شرطان أحدهما أن يكون محيطاً بمدارك الشرع، متمكناً من استثارة الظن بالنظر فيها، وتقديم ما يجب تقديمه، وتأخير ما يجب تأخيره. والشرط الثاني: أن يكون عدلاً مجتنباً للمعاصي القادحة في العدالة. وهذا الشرط لجواز الاعتماد على فتواه، فمن ليس عادلاً فلا تقبل فتواه، أما هو في نفسه فلا، أي أن أخذه بالاجتهاد لنفسه لا يشترط له ذلك³⁷.

ب- والعبارة الشاطبي هي إنما تحصل درجة الاجتهاد لمن اتصف بوصفين: الأول: فهم مقاصد الشريعة على كمالها. الثاني: التمكن من الاستنباط بناء على فهمه فيها³⁸.

ومضمون العبارة للأمدى والبيضاوي أنه يشترط في المجتهد شرطان:

الأول: أن يكون مكلفاً مؤمناً بالله ورسوله. الثاني: أن يكون عالماً عارفاً بمدارك الأحكام الشرعية وأقسامها، وطرق إثباتها، ووجوه دلالتها على مدلولاتها³⁹.

وإن الشروط المذكورة تدل على أن باب الاجتهاد مفتوح لأهله ويكون في محله فقط ويكون في المواضيع الظنية، فهذا هو الاجتهاد الذي نريد بإعداد هذا البحث، وإن الذين يملكون الشرائط المذكورة من المعرفة بلغة القرآن والأحاديث النبوية وعلومها مع أصولها والتفريق بين صحيحها من ضعيفها فهم مؤهلون للاجتهاد، فليس هذا الباب

³⁷ الغزالي، أبو حامد، المستصفى من علم الأصول، المطبعة الأميرية، مصر، ج 2 - 102.

³⁸ الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم، الموافقات، ج 4 ص 105-106.

³⁹ الأمدى، سيف الدين علي ابن أبي علي بن محمد، المرجع السابق، ج 3 ص 139.

مفتوحا لكل هب ودب، فإذا دار الاجتهاد في ضوء هذه الشرائط المعتمدة يكون دوره دورا كبيرا في التجديد.

خلاصة البحث:

إن الله تبارك وتعالى أنعم على المسلمين بهذه الشريعة الخالدة، وهي نعمة كبرى لا تساويها نعمة أخرى ومنة لا تعادلها منة أخرى، لأن الله تبارك وتعالى أكمل لنا ديننا بإنزال هذه الشريعة الربانية الخالدة إلى يوم القيامة، وأعلن عن منزلتها وقيمتها عنده حيث قال: {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً} ⁴⁰ وقد بين الله تبارك وتعالى في هذه الآية القرآنية أنه رضي بها وأكمل لنا ديننا، ولذلك فإن المسلمين لا يحتاجون إلى أي قانون أو أي شريعة دون الشريعة الإسلامية الغراء إلى يوم القيامة مهما تقدمت الدنيا وازدهرت العلوم والفنون والتكنولوجيات الحديثة بعد الثورة الصناعية والتطورات الماكينية التي تجعل العالم قرية صغيرة، ومع ذلك كله أنه لا يقبل شريعة دونها، ومنع عن طلب الشريعة الأخرى باسم الجديد محل القديم، وقد أعلن الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم بلسانه الخالد عن دينه السماوي حيث قال: {إن الدين عند الله الإسلام} ⁴¹ ولأجل ذلك قال سبحانه وتعالى: {ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين} ⁴² وأضاف قائلاً: {قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير} ⁴³ وإن هذه الآيات القرآنية تدل على أننا لا نستطيع أن نسلك طريقاً آخر دون الطريق الذي رضي الله تبارك وتعالى به وأنعم به علينا وعلى المسلمين في هذه الدنيا، وإذا سلطنا هذا الطريق نكون فائزين وناجحين في كل مجال من مجالات الحياة الفردية والجماعية، وبدون هذه الشريعة فإن البشرية تصل إلى الهلاك والدمار، كما لا يخفى على أحد حيث أننا نجد أمثلة كثيرة في الدول الغربية، ولأجل ذلك فإننا نرى أن الرسول صلي الله عليه وسلم حرض المسلمين على التمسك بهذه الشريعة حيث قال: (إني قد تركت فيكم ما لن تضلوا ما بعده إذا اعتصمتم به كتاب الله) ⁴⁴ وهذه شهادة تاريخية، وشهادة للنجاح والفلاح، وشهادة صادقة من الرسول - صلي الله عليه وسلم ومع ذلك كله فإن الله تبارك وتعالى ترك للمسلمين مجالاً واسعاً للتحقيق والتنقيح والتدبير والتفكير في معاني الكلمات والأحكام التي جاءت في القرآن .

⁴⁰ سورة المائدة، رقم الآية: 3.

⁴¹ سورة آل عمران، رقم الآية 85.

⁴² سورة آل عمران، رقم الآية 19.

⁴³ سورة البقرة، رقم الآية: 12 .

⁴⁴ أبو داود، رقم الحديث: 3216 .

كما نرى في هذه الآية القرآنية {كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب} ⁴⁵ ومن هنا اعتصم المسلمون بحبل الله المتين، وساروا على خطة مستقيمة ومناهج ثابتة فكلما وقعوا في المشاكل الفقهية وواجهوا الصعوبات الدينية لجأوا إلى الكتاب والسنة وخرجوا منها ناجحين وفائزين كأبطال، لأنهم سمعوا من رسولهم الأكرم -صلي الله عليه وسلم- " من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة" ⁴⁶.

ولذلك أنهم يستنبطون منها الأحكام الشرعية على أسس ثابتة بفهم النصوص والفرق بين الخصوص والعموم، والمطلق والمقيد بعيدين عن التأويلات الموضوعية والتحريفات الباطلة في الأهداف والأغراض، لأنهم لا يريدون بهذا السعي والجهد إلا الوصول إلى الحق والصواب، وهذا لا يتحقق إلا أن يكونوا مخلصين للشريعة الربانية ومؤمنين بالله بأن شريعته شريعة كاملة وخالدة شاملة على جميع نواح حياة البشر للأبد.

وإن الشريعة الإسلامية تستوعب معالجة جميع المشاكل التي يواجهها الناس سواء كانت المشكلة فردية أو جماعية داخلية أو دولية، لأن الشريعة الإسلامية جاءت من الله تبارك وتعالى الذي خلق الموت والحياة، والأرض والسموات والجال والبحار، والصحراء والعمران بل خلق الكون كله، ولذلك له حق أن يعلن عن نفسه أنه يعرف كل شيء، كما أعلن في القرآن الكريم {ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير} ⁴⁷ وقال للرسول صلي الله عليه وسلم {ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين} ⁴⁸ فلماذا لا نكون مسرورين وفرحين؟ وجدنا كتاب الله العظيم الذي يعالج مشاكل حياتنا الفردية والجماعية ويذهب بنا من المنزلة الوضيعة إلى المنزلة الرفيعة ومن أسفل سافلين إلى أعلى عليين ومن الحياة العبودية إلى الريادة والقيادة في الدنيا والآخرة، ومن سوء حظ الأمة في هذا العصر الراهن فإنها قاصرة في نيل العلوم من الكتاب والسنة لإيصال زوارق الحياة وقوارب النجاة إلى شاطئ النجاح والفلاح، ومتابعة الطريقة الصحيحة التي تستعد البشر والبشرية معا وأصبح المسلمون متخلفين في ساحة الاجتهاد حتى كثرت القضايا وكثرت الأقوال في دين الله وشريعته الغراء من قبل أعداء الله وشريعته السمحة وكذلك ازدادت الخلافات وكثرت النزاعات في حل القضايا المعاصرة فضلا عن الحل العادل في ضوء الشريعة الإسلامية.

⁴⁵ سورة ص رقم الآية 29.

⁴⁶ مسلم ، رقم الحديث: 2699 ، و أبو داود، رقم الحديث: 3641-3642 والترمذي: 2683.

⁴⁷ سورة الملك، رقم الآية: 14.

⁴⁸ سورة النحل، رقم الآية 89.

ولذلك يجب علينا وعلى العلماء الغيورين على ديننا الحنيف أن يبذلوا جهودهم الإيمانية لنيل المنزلة المفقودة من جديد حتى تثور النهضة الإسلامية لمقاومة جميع التحديات العصرية والمؤامرات الجديدة والحضارة الغربية التي تدمر الكيان الإسلامي تدميراً، حيث أنها حلت مكاناً مرموقاً لدى عامة المسلمين وخاصتهم باسم العولمة في كل مجال من المجالات، وخاصة فإن شبابنا بدؤوا يفتخرون بها ويتمتعون بتعريف أنفسهم بأنهم أجيال عصر العولمة، ويفهمونها سبيلاً أقوى وأنجح في هذا العصر الحديث لنيل التنمية والازدهار والنجاح والفلاح، ولا تتحقق آمالهم وأحلامهم إلا بنيل نصيبهم الوافر من العولمة، وإعداد أنفسهم للمشاركة فيها بكل قوة، ولكننا إذا سلطنا طريق أسلافنا الذين يخشون الله تبارك وتعالى في كل أمر من الأمور وفي كل شأن من الشؤون، كما قال الله جل شأنه في كتابه العزيز: {إنما يخشى الله من عباده العلماء} ⁴⁹ وحينئذ يفرح المؤمنون بعزة الإسلام والمسلمين في العالم الراهن، ولا يكون لنا الفرح والسرور إلا بنصر الإسلام وريادته في العالم المتغير ونيل المكانة العالية والريادة الكبيرة بين الأمم والشعوب على الصعيد الدولي، وقد نرى الأمة الإسلامية في هذه الأعوام الأخيرة بدأت تنهض عن نومها العميق فثارت الثورة الإسلامية في كل بقعة من بقاع الأرض، ورفعت أصوات الإسلام والمسلمين لكي يتنفسوا في جو الإسلام وفي بيئته السالمة، وظل الإسلام وشريعته الخالدة، وكل ذلك يتطلب منا أن نهتم لتنفيذ الشريعة الإسلامية في كل شأن من شؤون الحياة مع الرعاية التامة على الشريعة الربانية فروعاً وأصولاً ولا بد أن يكون ذلك من أهل العلم المتخصصين، فيهتمون بالكتابة بالنظرة الشمولية في أحكام الشريعة، ويتجهون للكتابة في قواعد الأحكام، وكليات الشريعة، ونظريات الإسلام العامة ⁵⁰.

والله المستعان على ما نقول ويهدي إلى الصراط المستقيم وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين، اللهم صلى وسلم على سيد المرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين.

المراجع :

- 1- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم لسان العرب، بيروت، دار إحياء التراث العربي ط 1412 هـ / ج 2 ص 395-397.
- 2- سورة المائدة، رقم الآية 53 والأنعام الآية : 109 و النور، رقم الآية 53 سورة فاطر، رقم الآية: 42
- 3- الفيروزآبادي، مجد الدين ، القاموس المحيط ، ط - 1412 هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص 351

⁴⁹ سورة فاطر، رقم الآية 28.

⁵⁰ مجلة المجمع الفقه الإسلامي، السنة السادسة، العدد 8 من مقال بعنوان "أسباب اختلاف الفقهاء".

- 4- الفيومي، أحمد بن محمد المقرئ، المصباح المنير في غريب شرح الكبير، ط مكتبة لبنان، بيروت، ص 44.
- 5- معلوف، الأب، المنجد في اللغة والأعلام، طدار المشرق، بيروت، ص 106
- 6- الزحيل، د. وهبة، أصول الفقه الإسلامي، 1998م، دار الفكر بدمشق، ج / 2 ص 1064
- 7- الجرجاني، الشريف علي بن محمد، كتاب التعريفات، ط1408 هـ، دار الكتب، بيروت، ص 10
- 8- الأمدي، سيف الدين علي ابن أبي علي بن محمد، الإحكام في أصول الأحكام، مطبعة محمد علي صبيح و أولاده، القاهرة، ج / 3 ص - 162
- 9- الشوكاني، محمد بن علي، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق في علم الأصول ، ط - 1938 م، مصطفى حليبي، القاهرة، ص 250
- 10- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق ودراسة محمد طاهر الميساوي، الطبعة الثانية، 1421 هـ 2001م، طبع دار النفاس، الأردن، ص 183-184
- 11- سورة النحل، رقم الآية 19 و سورة النمل، رقم الآية 25 و سورة النور، رقم الآية: 29
- 12- سورة التوبة، رقم الآية 122
- 13- مرعي د / حسن أحمد، الاجتهاد في الشريعة الإسلامية ، ط 1404 هـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ص155.
- 14- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد ، المرجع السابق: ص408.
- 15- سورة التغابن رقم الآية 16.
- 16- سورة الحشر، رقم الآية 2.
- 17- سورة المائدة، رقم الآية : 5
- 18- ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم، دار المفيد، بيروت، لبنان، ج 1 ص 4
- 19- مرعي د / حسن أحمد المرجع السابق، ص 155
- 20- سورة الأنفال، رقم الآية: 46
- 21- الدواليبي ، د . معروف، المدخل إلى علم أصول الفقه، الطبعة الثالثة، مطبعة دمشق، ط - 1959 ص ، 75- 389 ، الزحيلي، د. وهبة، الفقه الإسلامي وأدلتها، ج 2 ص 1069
- 22- جريدة العالم الإسلامي ، العدد : 1885 الإثنين 9 ربيع الأول 1426 هـ 18 إبريل 2005 م.

- 23 - أبو داود ج 1 ص 127
- 24- أخرجه البخاري ومسلم وأحمد وأصحاب السنن إلا الترمذي وهو حديث متواتر
المغنى : جامع الأصول، ج 10 ص 412
- 25- المصدر السابق ج 10 ص 548 ، جمع الفوائد ج 1 ص 683 ، مجمع الزوائد،
ج 4 ، ص195.
- 26- الإمام الشافعي، الرسالة، مطبعة الحلبي، الطبعة الأولى ، ص 477
- 27- الجرجاني، الشريف علي بن محمد، كتاب التعريفات، ط 1408 هـ، دار الكتب
العلمية، بيروت ص10 .
- 28- ابن الحاجب، جمال الدين أبو عمر عثمان بن عمر بن أبي بكر، مختصر المنتهي،
ط 132 هدار الكتب العلمية، بيروت، ص19.
- 29 - السبكي، جمع الجوامع مع شرح المحلي ، بيروت، ج 2 ص 389
- 30- الغزالي، أبو حامد، المستصفي من علم الأصول، المطبعة الأميرية، مصر ج 2-
103
- 31- الخلاف عبد الوهاب، علم أصول الفقه ص 257 ، الشعبان أصول الفقه الإسلامي،
ص ، 230 الأمدي، سيف الدين علي ابن أبي علي بن محمد، الأحكام في أصول
الأحكام، ج 3 ص 140، الزحيلي، أصول الفقه الإسلامي، ج 2، ص 1081
- 32-سورة النور، رقم الآية 55.
- 33- سورة النصر، رقم الآية 2.
- 34- إمام الحرميين، أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني، البرهان في أصول
الفقه، تحقيق عبد العظيم، ط1399هـ، مطابع الدوحة، قطر، ج 2 ص 332
- 35-العسقلاني ، أحمد بن علي بن حجر ، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج 1
ص 169.
- 36- الغزالي، أبو حامد، المستصفي من علم الأصول ، المطبعة الأميرية، مصر، ج
2 - 102.
- 37- الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم، الموافقات، ج 4 ص 105-106
- 38- الأمدي، سيف الدين علي ابن أبي علي بن محمد ، المرجع السابق، ج 3 ص 139
- 39- سورة المائدة، رقم الآية: 3.
- 40- سورة آل عمران، رقم الآية 85.
- 41- سورة آل عمران، رقم الآية 19.
- 42- سورة البقرة، رقم الآية: 12 .
- 43- أبو داود، رقم الحديث: 3216 .

مجلة الوفاق الإنمائي الدولي للعلوم الإنسانية

مجلة محكمة نصف سنوية تصدر عن مركز الوفاق الإنمائي الدولي

Wefaq International Development Center SDN.BHD. (1155980)

www.wefaqdev.net

- 44- سورة ص رقم الآية 29.
- 45- مسلم ، رقم الحديث: 2699 ، و أبو داود، رقم الحديث: 3641-3642 والترمذي:
2683
- 46- سورة الملك، رقم الآية: 14.
- 47- سورة النحل، رقم الآية 89.
- 48- سورة فاطر، رقم الآية 28.
- 49- مجلة المجمع الفقه الإسلامي، السنة السادسة، العدد 8 من مقال بعنوان "أسباب
اختلاف الفقهاء".